وليم شكسبير

أنطوني وكليوباترا

تقديم وترجمة

محمد عوض إبراهيم

الكتاب: أنطوني وكليوباترا

الكاتب: وليم شكسبير

تقديم وترجمة: محمد عوض إبراهيم

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور - الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

شكسبير ، وليم

أنطوني وكليوباترا / وليم شكسبير ، تقديم وترجمة: محمد عوض إبراهيم – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٢١١ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٨ – ٧٩ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٨٤٧٢ / ٢٠٢٠

أنطوني وكليوباترا

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

نشرت هذه المسرحية سنة ١٦٢٣، ويحتمل أن تكون قد ألفت سنة ١٦٠٧ أو سنة ١٦٠٨اقتني شكسبير في تأليفها تاريخ بلوتارك Plutarch، واحتذاه بدقة مدهشة. وتشمل حوادثها أكثر من عشر سنوات، من سنة ٤٠ق.م عندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية بعد اندحار بروتس وكسيس في معركة فلباي التي نشبت بين الحكام الثلاثة: قيصر وأنطوني وليبدس، حتى سنة ٣٠ق.م، عندما مات أنطوني وترك قيصر الحاكم المطلق على الشرق والغرب.

تبدأ حوادث هذه الرواية في قصر ملكة مصر كليوباترا بالإسكندرية، فبينما يتمتع هناك أنطوني معها بمعيشة كلها أبهة وفخامة في أطيب العيش وأرغده، ومحبة أحسن ما تصبو إليه نفس ذلك القائد ومزاجه – إذا بأخبار مكدرة تصله بأن زوجته أعلنت الحرب على أكتافيوس قيصر، فلم يقع منه هذا الخبر موقعاً حسناً، إذ سيكون سبباً في انفصاله عن الملكة الساحرة التي أصبح لها عبداً رقيقاً خاضعاً لسلطانها. وفضلاً على ما تقدم فإنه قد جاءته على أثر ذلك الأنباء سريعاً بموت زوجته فلوفيا ووقوع الحرب بين بمبي وقيصر.

لذلك كله لم يكن له مندوحة من الذهاب إلى روما على عجل، بالرغم من أن كليوباترا قد استعملت معه كل وسائل الإغراء لتستبقيه أسير الترف والنعم اللذين أحاطته بهما.

وفي أثناء سفره إلى روما يصف شكسبير شعور "قيصر" شريكه في حكم الإمبراطورية نحوه، وأثر إهماله واجبات الحكم من جراء انهما كه في اللذات والملاهي بالإسكندرية.

و بعد منظر صغير في مسينا حيث يهنئ بمبي نفسه بمستقبل باهر لعدم حب الشعب لقيصر ولخمول أنطوني – يصف الفصل الثاني مقابلة قيصر وأنطوني، واشتداد الجدل بينهما في بدء الأمر، وثوران نفسيهما، ثم انتهاء الأمر بصلح يوثق عراه زواج أنطوني من أكتافيا أخت قيصر.

غير أن هذا كله – كما كان يتوقع – يثير غضب كليوباترا إثارة شديدة، وبعد وقت قصير – تتم تسوية أخرى بين بمبي، وحكومة القناصل الثلاثة، ثم يختم الفصل الثاني بالولائم التي تقام لهذه المناسبة.

وفي مبدأ الفصل الثالث تظهر أمارات تدل على أن الهدنة التي رتقت الخلاف بين الأصهار لم يطل أمدها؛ إذ ظهر أن في نفس كل واحد منهم شيئاً من الآخر: فأنطوني، وهو الآن بأثينا مع "أكتافيا"، يشكو من الكلام المزرى الذي رماه به قيصر في روما، ومن أن قيصر حارب بمبي مرة ثانية. فتذهب أكتافيا إلى روما رجاء أن تزيل الخلاف بينهما، فيسر أنطوني للتخلص منها ويعود أدراجه إلى الإسكندرية وإلى كليوباترا، فيشتد حنق قيصر عليه من جراء رجوعه إلى سيرته الأولى ومنحه كليوباترا المملكة المصرية؛ وكذلك من شكواه من معاملة قيصر لليبدس فتنشب حرب بينهما لتكوين إمبراطورية واحدة يحكمها عاهل واحد، فيتقابل الأسطولان عند رأس أ كتيم، ولكن الأسطول المصري

المعقود لواؤه لكليوباترا يتقهقر ويفر فينتصر قيصر، فيطلب أنطوني وكليوباترا شروط الصلح منه، فيظهر قيصر استعداده لذلك على شرط أن تتخلى كليوباترا عن أنطوني، ولكنها تأبى ذلك، ويصمم أنطوني على تجربة حظه مرة أخرى بالحرب، فيتقدم قيصر بجيشه إلى الإسكندرية، فينتصر عليه أنطوني عند أول موقعه، ويرتد قيصر بجيشه إلى معسكره، ثم تنشب الحرب ثانية بينهما في ثاني يوم في معركة بحرية ينتصر فيها قيصر انتصاراً تاماً.

عند ذلك تختبئ كليوباترا في هيكلها، وتأمر أحد خدمها بإخطار أنطوني أنها قتلت نفسها، فيغمد سيفه في جسمه عند ما يسمع هذا النبأ. وبينما هو يعاني سكرات الموت إذا بالأخبار تأتيه أن انتحار كليوباترا كان إشاعة كاذبة. ثم تأمر كليوباترا بحمله إلى هيكلها حيث يلفظ النفس الأخير بعد وقت قصير.

وفي الفصل الخامس تفاجأ كليوباترا بدخول قيصر عليها في معزلها، والتقدم إليها بأن يأخذها معه إلى روما حيث يحسن معاملتها، ولكن كليوباترا لا تخدعها هذه الأماني، وإن بدا منه أنها صادقة، فتعقد العزم على أن تتخلص من حياتها، إذ ذلك خير من أن تصبح أسيرته، ثم تنفذ عزمها بأن تدع أفعى تلدغها في ثديها، ويرجع قيصر إليها فيجد أنه قد سبق السيف العذل، وتختم المسرحية بتشييع جنازة كليوباترا ودفنها مع أنطوني في قبر واحد.

الشخصيات الهامة في المسرحية:

أنطوني: كان أنطوني في شبابه، كما وصف في مسرحية يوليوس قيصر، شاباً مستهتراً منغمساً في الملذات. ولم يدرك حتى المتآمرون على قتل قيصر أنفسهم، حقيقة خلقه، إذ عده بروتس عضواً من أعضاء قيصر يصبح عاجزاً إذا ما قضى على قيصر. وأما كسيس ذو البصيرة الحادة في السياسة العملية فيتنبأ عنه بقوله: "سنجد فيه مدبراً ذا دهاء، وأنتم تعرفون وسائله. فإذا ما أحسها يكون من شأنها مضايقتنا جميعاً، ولذلك كان من رأيه قتله مع قيصر. بيد أن المتآمرين الآخرين كانوا من رأى بروتس، ولذا تركوه حياً. غير أن هذا الرأي كان خاطئاً، ويستدل على ذلك من أن أنطونيو لم يظهر بمظهر الصديق الوفي لسيده الميت فحسب، بل استطاع بذكائه وبلاغته أن يثير الشعب الروماني حتى طرد المتآمرين من روما، ثم تحالف مع أكتافيوس وليبيدس، وصار عضواً من أعضاء الحكومة الثلاثية الثانية. وفي الحرب التي شنها هؤلاء الحكام على بروتس وكسيس كان أنطوني قاسياً جباراً مثل حليفيه، وكان قائداً حكيماً وجندياً باسلاً.

ولنترك الآن مغامرات أنطونيو في آسيا حيث انغمس في الملذات، وفرض الضرائب الباهظة على الأهالي، ليبذر المال على ملاهيه، ثم نذهب به لمقابلة كليوباترا في فليقيه، حيث استدعاها متهماً إياها بأنها ساعدت كسيس وبروتس في حربهما عليه. ونجد في المقابلة التي وصفت في المنظر الثاني من الفصل الثاني أنه عجز عن أن يكلمها في

التهم المنسوبة إليها، إذ استولت على لبه برشاقتها وذكائها، فيهمل شئون الدولة ومشروعات الحرب في غمرة انغماسه في الملذات والاستهتار. وكان نبذ كل فضائله موضوع أسف صديقين من أخلص أصدقائه في افتتاح المسرحية، وكانا على حق فيما ذهبا إليه، لأن تأثير كليوباترا عليه بلغ ذروته. ومن ثم نراه مستهتراً، وقد خلع عن نفسه كل رداء للاحترام. على أنه عندما يبلغه خبر موت زوجته وما سببه له ذلك من الارتباك، يعود إليه بعض نشاطه الأول ويقول: "لا بد لي من أن أحطم هذه الأصفاد المصرية، وإلا أفقدني الأسر صوابي". وبالرغم من محاولة كليوباترا الاحتفاظ به يسرع إلى روما. وعند مقابلته لأكتافيوس قيصر تنم صراحته في الاعتراف بأخطائه عن كرامة وعزة نفس، وغيرة على شرفه، وبخاصة عند ما تكون الأشياء المنسوبة إليه غير عادلة. ولكن استعداده لمداواة الخصام بين أكتافيوس بزواجه من أخته لم يكن الباعث له إلا راحة البال، بيد أن أنوبر بس ينفذ في مشاعر سيده عند ما يتنبأ بعد ذلك بوقت قصير: "بأن هذا الرباط لن يمكث إلا قليلاً"، ويعترف بذلك أنطونيو لنفسه، ولا يشعر بطمأنينة من جهة صهره الفاتر الود، البعيد الغور، ويسره أن ينتحل عذر أعمال سياسية ويذهب إلى أتينا. لكن أخباراً تصله بأن قيصر وصفه وصفاً مزرياً فيستشيط غضباً ويصمم على العودة إلى مصر وإلى حبيبته كليوباترا.

وعندما يجتمع بها ينبذ كل شرف واحترام وحزم لتدبير أمور الدولة. ويسترقه سحر كليوباترا وجاذبيتها، فيتحدى قيصر علانية، ويستعد للنضال الذي يكون من شأنه الفصل في السيادة على العالم. ويبلغ

خضوعه الكيلو بطرة مبلغاً يجعله يستسلم لمزاجها ويأتمر بأوامرها ويخوض معركة بحرية ضارباً بنصيحة أصدقائه المخلصين عرض الحائط، وعند ما تفر كليوباترا من المعركة يقتفي أثرها. على أن ما نزل به من البلاء، وإدراكه القاسي بأنه ظهر لأول مرة في حياته بمظهر الجبان، لم يكونا كافيين لردعه عن طيشه. فعند ما أخذ يؤنبها على فعلتها الشنعاء كان سكب بعض دموعها كافياً لخضوعه المزرى لها. ولما أخفق في مصالحة قيصر بذل جهداً يائساً مرة أخرى في انتشال نفسه من الوحدة التي سقط فيها، وعندما يهزم يصبح تحت رحمة قيصر، ولم يبق له شيء في الحياة، فيقتل نفسه. لذلك نرى أن شخصيته خليط غريب من الشجاعة والكرم والصراحة والذكاء المشرق وطلاوة الحديث، وعدم الإخلاص والتردد وعدم الثبات على المبدأ، والانهماك في الملذات والحب الحسي للتمتع. وكانت الصفات النبيلة في شخصيته يبطل تأثيرها عدم الاتزان. وأما الصفات الشريرة فكان مبعثها نشاطاً جاء به حسن حظ في الحياة، مطلق العنان.

كليوباترا: أما عن كليوباترا فنعرف أنها في شبابها المبكر كانت حظية يوليوس قيصر وبمبي، وكانت حياتها انغماساً لا ضابط له في كل نزوات حسية أملتها عليها طبيعتها ومركزها الفريد.

وعند ما قابلت أنطونيو لأول مرة كانت سنها ثمانية وعشرين عاماً، وكل شيء فقدته من نضارة جمالها استعاضت عنه بافتتان من تجاربها وبانفعال كان مبعثه الجمال الطائش، ومن المحتمل أن أناقتها الشخصية كانت أقل سحراً من حدة ذكائها وصفاتها المتضاربة وتعدد النزعات التي كشفت عنها كل ساعة.

فالحب الذي على وتيرة واحدة، وذو المبادئ الراقية والخلق الحميد، أنهك خيال انطونيو، عند ما منحه زواجه لأكتافيا كل هذا بإسراف. وعرفت كليوباترا أن أي ادعاء بفضائل نموذجية لا يكون لها تأثير على غل روحه. ومهما كانت صفاتها فإنها عرفت بغريزتها ما يريد أنطونيو أن تكون عليه. ولقد خيل أن أنطونيو وكليوباترا خلق بعضهما البعض، وهذا حقيقي بمعنى أنه ما من اثنين مثلهما كانا لائقين ليقاناً تاماً بهدم بعضهما بعضاً. ولم يكن هذا من اختراع شكسبير لأن الصورة التي أوحى بها كانت نقلاً عن التاريخ والطبيعة.

فثقافتها الذهنية، ورشاقتها التي لا نظير لها. وذكاؤها النسوي، وخداعها الأنثوي. وإغواؤها الذي لا يقاوم. ونزعتها للجلال الشاذ. وانفجار غضبها الصعب المراس، وخيالها المرح، ومزاجها الشاذ، وتقلبها، وكذبها، ورقتها، وميلها الصبياني للملق، وروحها الفخمة، وكبرياؤها الملوكي، واللون الشرقي البديع لأخلاقها — كل هذه العناصر اقتنصها شكسبير وخلقها خلقاً متطرفاً، وأودعها في تمثيل شخصية كلاسيكية طريفة، وفجور شرقي وسحر خداع.

وأي برهان لدينا أكثر دلالة على صدق وصف شكسبير لهذا الخلق من أن كليوباترا في المسرحية تحدث في نفوسنا الأثر نفسه الذي تحدثه كليوباترا الحقيقية؟ إنها تذهل قوتنا العقلية، وتدهش قدرتنا على الحكم، وتسحر خيالنا، ونشعر من أول المسرحية إلى آخرها بافتتان تثور عليه روحنا الخلقية، ولكن لا يمكن الهروب منه. وأما قوة هذا الافتتان على أنطونيو، ومعرفتها هذه القوة فنستدل عليه من المنظر الأول (الفصل

الأول) وذلك أن أنطونيو جاش في صدره، كما يخيل إلينا، أن الأخبار التي جاءت من روما قد لا تصادف هواه، فيرفض الإنصات للرسل، فتنتهز كليوباترا الفرصة للمزاح وتقول: "إن القيصر الذي يغار من سلطته أرسل له كذا وكذا من الأوامر؛ وتتنبأ بسخرية عن أوامر صدرت من زوجته السليطة للعودة، وهو ذلك الزوج المستكين لزوجته، والذي يخشاها خشية الرقيق سيده. وهذه الثقة في شدة إغاظتها له تظهرها له مرة ثانية عند ما تكدرت لغيابه عنها، فترسل خادمها ليرى محله وعمله وتوصيه بأنه إذا رآه حزيناً يقول له إنها ترقص، وإذا كان مسروراً يخبره بأنه قد نزل بها مرض مفاجئ. فيعتب عليها خادمها لمشاكستها أنطونيو مخاطرة بحبه، وينصحها بألا تعارضه في شيء. ولما كانت كليوباترا متعمقة في قراءة النفس البشرية فإنها تجاوبه بأن حب التذلل هذا هو الوسيلة الوحيدة لفقد كل سلطة عليه.

وفي هذه اللحظة يدخل أنطونيو ويخبرها بأنه يزعم ترك مصر، فتدعى أنها على وشك الإغماء، ثم سرعان ما تسترد عافيتها وتأخذ في السخرية منه، فتؤنبه على عدم ولائه لفلوفيا زوجته الأولى. وعند ما تسمح أخيراً لأنطونيو أن يتكلم، فيخبرها عن موت فلوفيا، تهزأ منه على هدوئه في تحمل خسارته، وتحثه بسرور خبيث على أن يتظاهر بفضيلة الندم والحزن الذي ليس لديه شيء منهما. فتبعث سخريتها في أنطونيو الغضب. ولكن هذا لا يزيدها إلا سروراً. وسرعان ما تنقلب هذه الحالة إلى ندم أرق ووداع محبوب عند ما تعترف بضرورة تركه لها والذهاب لروما. فيرحل أنطونيو بعد ذلك، ونراها تندب وحدتها، وتسترجع سرور

حبها الماضي، وتتخيل مكان أنطونيو ومشاغله وأفكاره وتقول لخادمتها شرميان:

أين تظنينه الآن ؟ أقائم هو أم قاعداً. أم ممتط صهوة جواده؟

أيها الجواد السعيد الذي يظفر بجسم أنطونيو عليه، ابذل كل قوتك وجهدك، لأن الشخص الذي يعلوك هو ذلك الجبار الذي يحمل نصف العالم على عاتقه، إنه أشد الناس ساعداً. وكأني به يقول أين ثعباني بمصر؟ (إذ كان يدعوني كذلك) ألا إن التفكير فيه وفي محاسنه التي لا تشوبها شائبة تجعلني أشعر بحرارة فرقته، حتى كأني أتجرع السم".

ويتعطل شرود أفكارها بأخبار من أنطونيو، تلك التي تستقبلها بطرب عظيم، وتجد في كل شيء تتنبأ به تدفقه لحبها. وما زالت تعزي نفسها بتلك التذكارات اللذيذة السعيدة عند ما تأتيها أخبار غير سارة فيما بعد – تلك هي أخبار زواج أنطوني بأكتافيا، ويستولى عليها التشنج والقلق وشرود الفكر فلا يمكنها أن تركز عقلها في أي شيء، وتهتاج ويأخذ منها الغضب كل مأخذ فتهجم على رسول السوء وتضربه ثم تمسك بشعر رأسه وتدفعه هنا وهناك في الحجرة وأخيراً تستل خنجرة لتطعنه فيهرب ذلك البائس، فتستعيد هدوءها ثم تستدعي الرسول مرة ثانية فتنفجر في الشتائم واللعن، وتطرده من حضرتها، ولكنها سرعان ما ترسل رسولاً آخر وتقول له: "اذهب إلى الفتي واطلب إليه أن يصف ملامح أكتافيا وسنها وميولها ولا تدعه يترك وصف لون شعرها، واحضر لإخباري سريعاً!"

وأخيراً تستدعي الفتى وتستجوبه عن ملامح أكتافيا وتجد عزاء لكبريائها المثلوم في اعتقادها بأن أنطوني لا يمكن أن يستمر يحب امرأة

بهذه الجاذبية التي وصفت لها.

وتنقضي فترة طويلة قبل أن نراها مرة ثانية عند ما يرجع إليها أنطونيو ويزداد تكريسه لها بسبب بعاده المؤقت وبسبب مقارنة هيامها المملوء حيوية بخفر حب أكتافيا النفسي. وتعتزم كليوباترا في نضالها الذي على وشك الوقوع مع أكتافيوس أن يكون لها دور شخصي، فنجدها تؤنب إنوبربس – أحد أتباع أنطونيو الموثوق بهم – على تدخله في منعها من ذلك. ويجيء أنطونيو فلا يمتثل لرغبتها فحسب، بل يسمح لنفسه بأن يقبل تحريضها له على النضال في البحر لا البر. وعبثاً حاول إنوبربس وكنديس الاحتجاج على هذا القرار. ولكن تأثير كليوباترا يسود.

ويقول كنديس: "إن قائدنا تقوده امرأة، ونحن رجال امرأة". وكانت نتيجة المعركة الهزيمة. وخيل للحظة أن مرارة فضيحة أنطونيو ستجعله يكف عن أن يكون ألعوبة امرأة. ولكن كليوباترا تعرف كيف تاعب الدور القادم، ويصبح أنطونيو مرة ثانية أسيراً راضياً ويقول لها:

"لا تذرفي الدمع، فكل دمعة من دموعك تساوي كل ما كسب وكل ما خسر.

هات قبلة وهذه تعوض خسارتي".

وعند المفاوضة مع أكتافيوس التي جاءت على أسر الهزيمة تظهر كليوباترا لسفير قيصر استعدادها لقبول الشروط المعروضة عليها، ولا يعلم هل أرادت بذلك أن تلعب دوراً، أو أنها رأت أن قضية أنطوني خاسرة، فيدخل أنطوني مفاجأة على السفير المفاوض، ويؤنب كليوباترا تأنيباً شديداً على تشجيعها إياه ويأمر بطرده وضربه بالسياط، عند ذلك تخشى كليوباترا

أن تكون قد تمادت مع السفير فتلعب دور البريء المظلوم، و باحتجاجات رقيقة من حبها الذي لم يتغير تسترضي أنطونيو حتى يتجدد اعتقاده بإخلاصها.

وعند عزمه على النضال النهائي تستحثه بحماسة، وتصميم على أن تلبسه درعه عند ما يذهب للموقعة، وتستقبله استقبالاً حسناً عند ما تكون الموقعة في صالحه في أول يوم. ولكنها تنسحب من المعركة البحرية وتكون السبب في خذلانه بسبب جبنها لا خيانتها – كما فهم أنطونيو. فتخشي مقابلة أنطونيو فتسجن نفسها في هيكلها وترسل من يخبره بموتها. وعند آخر مقابلة لها، لأنطوني وهو على فراش الموت تظهر كل قوة حبها وحقيقته.

ولقد أبدع شكسبير في وصف قتل نفسها، ذلك القتل الذي لم يكن سببه الهروب من فضيحة قيادتها أسيرة إلى روما فحسب، بل كوسيلة لجمع الشمل في الدار الآخرة مع زوجها المحبوب – ذلك الوصف الذي يكاد يعمي القارئ عن نقائصها، ولقد أظهر فيه جاذبية أخلاقها التي استمرت حتى النهاية. وعند ما تقول كليوباترا لوصيفاتها ساعة تضع الأفعى على ثديها: "صه، صه ألا ترين طفلي يرضع ثدي لينام؟".

كانت هذه الكلمات القليلة – التي تقارن بين الجمال الرقيق للصورة وبين فظاعة الحالة – أكثر تأثيراً للحزن الشديد من كل ثرثرة وهراء.

وعند ما يسرع أكتافيوس متأخراً لنجاة فريسته ويقول عند رؤيتها: "الملكة تظهر وكأنها تنام نوماً هادئاً، وكأنها تريد أن يقع في شرك جمالها "أنطونيو آخر". تظهر أمامنا صورة جمالها وسحرها الذي لا يقاوم منتصراً

حتى الموت. وبذلك يتم هذا الوصف الشامل الغريب لتلك الشخصية الفذة.

أكتافيوس قيصر: لقد أظهر شكسبير تناقضاً في أخلاق أنطونيو وأكتافيوس. فأظهر الأول مندفعاً والثاني متحفظاً، والأول شهوانياً مستهتراً في حبه، والثاني لا يستسيغ مباهج المجد ويعتبر ترك الحبل على الغارب لميوله رذيلة لا تليق بمقامه.

ووصف الأول صريحاً سخياً والثاني محباً لنفسه، والأول مستعداً للاعتراف بذنوبه، في حين أن الثاني بلغ من استقامته أن ينكر أن يكون له من الخطأ ما يعترف به. ووصف أنطونيو متقلباً في أغراضه في حين أن أكتافيوس له من الصلابة وقوة الإرادة ما يجعله يتشبث برأيه. ويقابل حماسة أنطونيو التروي الحكيم، واندفاع هذا يقابله خداع الآخر السياسي. وأفكار أنطوني التي كانت عفو الخاطر، والتي كانت قد تجمل بشاب مثل أكتافيوس في سن التاسعة عشرة، كان يقابلها الحذر الذي لم يكن من شأن شيخ مثل أنطونيو.

وفي أول مقابلة لأكتافيوس مع المتنافسين على السلطة نجد فيه خليطاً من المعلم المتحذلق الذي يعنف تلميذه، ومن الكاتب الأخلاقي الذي يدرك أخلاقه الطاهرة. ويخيل أن استعداده لزواج أخته من رجل يحتقر أخلاقه كان طوعاً لحبه الذاتي أكثر مما كان عن رغبة صادقة الصالح أحد الزوجين.

ومن الواضح أنه في الوليمة التي أقامها بمبي على باخرته لم يشترك اكتافيوس اشتراكاً كثيراً في بهجتها. وقد حضرها لأنه لم يتسن له أن يتغيب

بدون إغضاب أحد رفقائه. وهو يحتسي الخمر مع الثلاثة الآخرين لأنه مضطر للشرب، ولكنه احتج على الإسراف في الشرب، فيسرع في الهروب من منظر قد يؤذي وقاره الذي يحرص عليه.

وهو يشكو بحق من إسراف أنطونيو المتهور عندما يعود إلى كليوباترا ومن عدم إخلاصه لأكتافيا. بيد أن غضبه يزداد بسبب المعاملة المزرية التي عامله بها أنطونيو.

ويذمه لأن عند عودة أكتافيا إلى روما كوسيط في الصلح لم يصحبها العدد اللائق لها من الخدم. ومنشأ غضبه ليس حبه لأخته

"لماذا تسللت إلينا خلسة هكذا؟ إنك لم تحضري كأخت قيصر. وكان من الواجب أن يكون لزوجة أنطونيو جيش من الخدم والحشم، وصهيل الخيل ينبئ بقدومها قبل وصولها بمدة طويلة، والأشجار على طول الطريق كان يجب أن تزدحم بمستقبليها من الناس، وأولئك الذين يرغبون في مجيئها يطول هم الانتظار، والثري الذي تثيره جنود جيشك اللجب يصعد إلى الحو وينتشر في طبقاته العليا ويغطى وجه الأرض، ولكنك أتيت كفتاة قروية قادمة من قريتها إلى روما: وبذا حرمنا إظهار شعورنا بحبك، لأن الحب إذا فقد امتنعت دلائل الشعور به، وكان من الواجب أن نقابلك في البر والبحر ونرحب بك في كل مرحلة من هذه الرحلة".

وعند ما يقول لها بعد ذلك:

"دعي المقادير تجري في أعنتها، ولا تتكدري من حوادثها.

وإني أتضرع إلى الآلهة أن تنصفك وأن تتولانا. وكل من نحب برعايتها".

يكون قد فكر في الانتقام للظلم الذي أصاب أخته، ويجد الفرصة

سانحة لإزالة العقبة الوحيدة التي في طريقه والاستيلاء على إمبراطورية شاملة فينتهزها. ولقد تركه انتصاره في موقعة أكتيوم التي جاءت عقب على ذلك بقليل في مركز يسمح لي بإملاء إرادته على أنطونيو و كليوباترا. ويظهر استعداده للرضى على كليوباترا إذا قبلت ارتكاب عمل سافل وهو قتل أنطونيو. وعند ما تأتيه الأخبار بعد الموقعة الأخيرة بنهاية أنطونيو يندب أخاه ومنافسه وزميله في الحكم قائلاً: "إنك أخي ومنافسي في شرف المقصد. وزميلي في حكم الإمبراطورية. يا أصدقائي ورفاقي عند التعرض للأخطار، إن ذراعي وقلبي تلهبهما هذه الأخطار وتدفع بنا إلى النهاية المحتومة مع أننا كنا أصدقاء.

على أن هذا الانتحاب والرثاء لم يبلغا من مرارتهما أن يمنعا الانتباه السريع إلى الحصول على شخص كليوباترا فيرسل لها رسولاً سريعاً ويقول:

اذهب وواسها وعدها بكل شيء يخفف عنها حزنها.

لئلا يؤثر ذلك الحزن في نفسها العظيمة فيدفعها للقضاء.

على حياتها، وبذلك تفوت علينا الوصول إلى غرضنا.

بأن نأخذها إلى روما حية لتكون تذكاراً دائماً لشرف انتصارنا".

ويتبع ذلك بزيارة شخصية لكليوباترا، ويستعمل عند ذلك كل حجة للتأثير عليها ويحاول أن يخفف من وطأة خوفها من مقاصده نحوها، ولكنه يرجع وقد خابت كل سياسته الماهرة عندما يعلم بعد ساعات قليلة بخبر وفاتها.

أكتافيا: لم نر أكتافيا في المسرحية إلا قليلاً، وهي تظهر في الواقع أربع مرات.

فأولاً بعد دقائق قليلة من زواجها، وثانياً عند ما تتأهب للرحيل إلى أتينا في رفقة أنطونيو وقلبها مفعم بما يجيش في صدرها:

"إن لسانها لا يطاوعها على الإفضاء بشعور قلبها، وقلبها مفعم حتى لا يستطيع الإفضاء بإحساسه إلى اللسان، وتأثرها بسبب ترك أخيها مثله كمثل زغب ريش البط يقف ساكنا عند ما يكون المد عالية، ولا يميل إلى أية جهة".

وثانياً في المنظر القصير عند ما تكون مستعدة لرسالتها للتوسط بين أخيها وزوجها.

وأخيراً عند رجوعها إلى روما عند ما تبذل جهدها لتهدئة أخيها والدفاع عن زوجها. وهي تبرر غيرة كليوباترا المشوبة بالخوف بنقاء حياتها وطهارة حبها.

ولقد شكا الناقدون من "أن دور أكتافيا في المسرحية كأي دوراً ثانوياً"، ولكن شكسبير رأى بحكمة أنه لو أعطاها دوراً أكثر بروزاً لكان معناه القضاء على الأهمية التي صمم على إشعاعها على قصة حب شخصيتيه الهامتين أنطوني وكليوباترا.

المترجم

أشخاص المسرحية

مارك أنطوني أكتافيوس قيصر ليبدس"	الحكام الثلاثة مجتمعين
سكتس بومبيس (بمبي) إنوبرس، دكريتس، أدس فنتديس، فيلو سكارس، ديمتريس	أصدقاء أنطوني
ثيرس، أجربا جلس، دولابلا ميسناس، بركيليس	أصدقاء قيصر
مناس منكراتس فاريس	أصدقاء بمبي
تورس	فريق ثان لقيصر
كنديس	فريق ثاني لأنطوني
سيلس	ضابط في جيش فنتديس
يفونيس	: سفير أنطوني لقيصر
ألكسس مرديان (أغا)	أتباع كليوباترا

سلكيس ديوميدس عراف ماجن	
كليوباترا	ملكة مصر
أكتافيا	أخت قيصر وزوجة أنطوني
شرميان إرس	وصيفتان لكليوباترا

ضباط وجنود وخدم آخرون

المنظر: أجزاء كثيرة الإمبراطورية الرومانية

الفصل الأول

المنظر الأول

الإسكندرية - حجرة في قصر كليوباترا

[يدخل ديمتريس وفيلو]

فيلو: حقاً إن هذه الاستنامة إلى هذا النعيم من قائدنا قد فاقت كل الحدود، إن عينيه الجميلتين اللتين كانتا تفحصان الجنود وهم على أهبة خوض المعارك وتشعان ضياء ينفذ إلى القلوب، وهو مرتد درع القتال الصلبي المتألق كإله الحرب – هما الآن قلقتان غير مستقرتين، وإن كانت نظراتهما إلى ذلك الوجه الأسمر تنمان عن إخلاص مفرط، وقلبه الباسل – الذي بلغ من قوته وصلابته أن مزق في أثناء المعارك العظيمة أربطة درعه على صدره – يتنكر الآن لكل صفات الاعتدال وأصبح كمروحة تروح على نفس هذه المصرية وأهوائها.

[ترنيم من الأبواق، يدخل أنطوني وكليوباترا ووصيفاتها وخدمها مع خصيان اير وحوا عليها بالمراوح]

انظر جهة قدومهما وأمعن في النظر تجد هذا الرجل الذي كان عاهلاً من الحكام الثلاثة للعالم قد انقلب داعراً مخبولاً انظر وفكر فيما ترى.

كليوباترا: إذا كان ما تفتخر بشعورك نحوى هو الحب فأخبرني عن كمه

أنطوني: إن الحب الذي يمكن تقديره لا يعتبر شيئاً.

كليوباترا: سأحدد مقدار حبي لك.

أنطوني: إذن يجب أن تبحثي عن أرض أخرى وسماء أخرى؛ إذ أن أرضنا وسماءنا لا تتسعان لمقدار حبي وعظمه.

[يدخل تابع]

التابع: لدي أخبار يا سيدي من روما.

أنطوني: هذا أمر يضايقني؛ على بخلاصتها موجزة.

كليوباترا: لا يا أنطوني يجب أن تسمعها كلها، فلربما كانت فلوفيا

غضبي أو من يدري؟ إذ ربما يكون ذلك الشاب الأمرد قيصر قد أصدر إليك أمراً حازماً يأمرك فيه أن تفعل هذا أو ذاك أو تغزو هذه المملكة أو تنقذ تلك، وأن تنفذ ذلك وإلا تعرضت للعقاب.

أنطوني: وكيف يكون ذلك يا حبيبتي؟.

كليوباترا، أو قد يرجوك، أو على الأرجح يأمرك، ألا تبقي هنا، ولربما أصدر لك أمره بمغادرتك مصر، لذلك يجب أن تسمعه يا أنطوني لترى: أمن زوجتك هذه الدعوة أم من قيصر أم منهما معاً؟ ادع الرسل وإني لمتيقنة كما أني ملكة مصر – أن دم الخجل قد أخذ يصعد إلى وجنتيك يا أنطوني، وذلك أمارة الخنوع لقيصر والخوف منه، غير أنه قد تكون أمارات الخجل خوفك من سلاطة لسان فلوفيا بالتأنيب. الرسل!

أنطوني: فلتغرق روما في مياه التيبر، ولتدمر الإمبراطورية الرومانية على اتساعها وتصبح أنقاضاً!! قسماً إني لا أريد شيئاً آخر غير إقامتي

بمصر وكفى، ولعمري إن الممالك من التراب، ولا تستحق عناء غزوها، وإن دنيانا الدنسة هذه تمد الإنسان والحيوان الأعجم بالغذاء سواء، وإن التمتع بالحياة لا الحصول على الثروة وسلطة الحكم أنبل مقصد إذا استطعت الوثوق من أننا نحن الاثنين (يتعانقان) على تمام الوفاق متحليين بحلية الشرف وهذا ما أشهد عليه كل العالم، على أن كل فرد سيناله العقاب، إذا أنكر كل ذلك ولم يعترف بأنا لا مثيل لنا.

كليوباترا: ما أجرأه من كذب! لماذا بني بفلوفيا ولم يتعشقها؟ وسأظهر بمظهر المجنونة، إن لم يظهر أطوني صفتي الشرف والنبل اللتين هما من طبعه.

أنطوني: نعم سأظهر أني جدير بما أنا فيه لو ألهمتني ذلك كليوباترا، ودفعتني إليه بحق الحب وما تغدقه على حبيبتي من الملاذ؛ على أننا نضيع الوقت في المناقشة الحادة، في حين يجب ألا تتسع أية دقيقة من وقتنا لشيء غير السرور. أي ملهى عندنا الليلة؟

كليوباترا: قابل السفراء.

أنطوني: واهاً لك من ملكة مشاغبة! ملكة يلائمها أن تؤنب وأن تضحك وأن تبكي، ويستطيع كل ميل من ميولها أن يظهر جميلاً أو قبيحاً. لن أقابل سفيراً غيرك، وسترافقينني الليلة وحدك ونتجول في الشوارع ونشرف على عبث الشعب ولهوه، هيا يا ملكتي، وقد رغبت في ذلك ليلة أمس، أما أنت أيها التابع فكف عن الكلام.

[يخرج أنطوني وكليوباترا وحاشيتهما]

ديمتريس: هل بلغ من ازدراء أنطوني لقيصر ألا ينصت لرسالته؟

فيلو: وعند ما لا يكون أنطوني في حال اتزانه الحق يظهر نفسه غير متحل بصفات النبل التي عرفت عن طبعه.

ديمتريس: إنه ليؤلمني أن يثبت بذلك صدق أولئك المفترين عليه في روما، وإني لأرجو أن يعود إلى وعيه وصفاته الطيبة غداً، وإني أستودعك الله.

[يخرجان]

المنظر الثاني

حجرة أخرى في قصر كليوباترا

[تدخل شرميان وإراس وألكس وعراف]

شرميان: يا سيد ألكسس، أيها المحبوب ألكسس، ويا كل شيء يا ألكسس، ويا ألكسس المتحلي بكل صفات الرجولة، البعيد عن نقائصها، أين العراف الذي أطنبت في مدحه للملكة؟

ألكس: يا عراف.

العراف: ها أنا ذا تحت أمرك.

شرميان: هل هذا هو الرجل؟ هل أنت يا سيدى الرجل الماهر في تعرف المستقبل؟

العراف: إني أستطيع قراءة بعض الشيء من كتاب أسرار الطبيعة.

ألكس: أريه يدك.

[يدخل إنوبريس]

إنوبربس: علينا بالوليمة سريعاً وأكثر من الحمر حتى نشرب في صحة كليوباترا.

شرميان: (إلى العراف) يا سيدي الطيب قل لي حظاً سعيداً

العراف: إني لا أصنع الحظ ولكني أتنبأ به.

شرميان: إذن تنبأ بحظي.

العراف: ستكونين أجمل مما أنت الآن.

شرميان: يقصد بذلك ملامح وجهي وليس حظي.

إراس: ولكنك ستصبغين وجهك عند ما تكبرين فيزاد جمالك.

شرميان: إني لأرجو أن تبتعد على تجعدات الوجه.

ألكس: لا تقطعي عليه تنبؤاته واصغي.

شرميان: صه!

العراف: ستكونين محبة أكثر منك محبوبة.

شرميان: إلى أفضل أن أدفئ كبدي بالخمر.

ألكس: أنصتي إليه.

شرميان: تكرم الآن وقل لي حظاً بالغاً منتهى السعادة، فقل لي: إني سأتزوج من ثلاثة ملوك في صباح واحد وأعيش بعدهم، وسأنجب في سن الخمسين طفلاً يخضع له هرد ملك اليهود، ونبئني بأني سأتزوج أكتافيوس قيصر وأكون على قدم المساواة مع سيدتي.

العراف: سيكون عمرك أطول من عمر سيدتك التي تخدمينها:

شرميان: ماهر جداً! إني أحب الحياة الطويلة أكثر من التين.

العراف: أنت الآن تتمتعين بحظ أسعد مما يكنه لك المستقبل.

شرميان: إذن من المحتمل أن أطفالي لن يكونوا شرعيين. أرجوك إخباري عن عدد الإناث والذكور الذين سألدهم.

العراف: لو كان لكل رغبة من رغباتك رحم لكان لك "مليون" مولود.

شرميان: اخسأ أيها المجنون! إني أصفح عنك لأنك ساحر، هيا فأخبر إراس عن حظها.

ألكس: سنعرف جميعنا حظنا.

إنوبربس: سأشرب أنا وأنتم الليلة نخب حظنا قبل الذهاب للفراش

إراس: هاك يداً تنبئ بالعفة إن لم تنبئ بشيء آخر.

شرميان: هذا من المستحيل وكأنك تقولين إن فيضان النيل ينبئ بالمجاعة !!

إراس: اخسأ أيها المتغالي في مزاجك المرح؟ إنك لا تستطيع قراءة المستقبل.

شرميان: حقاً إذا لم تكن اليد الناعمة تدل على مستقبل حسن فإني أقر بعجزي. أرجوك أن تخبرها بنبأ عادي.

العراف: كل حظوظكم متشابهة.

إراس: ولكن كيف ذلك؟ على بالتفاصيل.

العراف: لقد أخبرتكم ما أعلمه وليس عندي ما أزيد عليه.

إراس: أليس حظي أعظم من حظها (ببوصة)؟

شرميان: نرجو من الله أن يصلح من أفكارنا السيئة، هيا فأخبرني عن حظ ألكسس أخبره بأنه سيبي بامرأة كسحاء لا تستطيع السير، ثم اجعلها تموت ليستبدل بها أسوأ منها، واجعل هذه تترك الرجل السافل لتتزوج بأخر أسفل منه حتى تجعل أسفل الناس يشيعون جنازته إلى المقبرة وهم يضحكون. أيتها الآلهة إيزيس اسمعي دعوتي هذه وأنك تحرميني أشياء أقل قيمة ووزناً، يا إيزيس الطيبة، أجيبي رجائي.

إراس: آمين، أيتها الآلهة الطيبة أجيبي دعوة الناس.

شرميان: آمين.

إنوبربس: صه: ها هو ذا أنطوني قادماً.

شرميان: ليس هو بل الملكة.

[تدخل كليوباترا]

كليوباترا: هل رأيتم سيدي؟

إنوبربس: لا يا سيدتي.

كليوباترا: ألم يكن هنا؟

شرميان: لا يا سيدتي.

كليوباترا. لقد كان مرحاً ولكنه أخذ يفكر فجاءة في شئون روما. يا إنوبربس.

إنوبربس: سيدتي.

كليوباترا: ابحث عنه وأحضره هنا، أين ألكسس؟

ألكسس: هنا في خدمتك يا مولاتي، ها هو ذا سيدي قادم.

كليوباترا: لن نعيره التفاتاً هيا معي (يخرجان) [يخرجان]

[يدخل أنطوني و رسول وتوابع]

الرسول: تقدمت في المبدأ فلوفيا بجيشها.

أنطوني: تحارب أخي لسيس؟

الرسول: نعم ولكن سرعان ما انتهت الحرب واضطرتهما شئون الدولة للصلح واتحدا لمقاتلة قيصر الذي كانت له الغلبة عليهما أول وهلة وطردهما من إيطاليا.

أنطوني: ثم ماذا؟ أخبرني بما تريد إخباري عنه مما هو أسوأ من هذا.

الرسول: إن الرسول الذي يحمل النبأ السيء يسوئه هذا النبأ كما يسوء الشخص المبلغ له.

أنطوني: هذا حق إذا كانت هذه الأنباء تخص الأحمق والجبان فهات ما عندك. ما مضى فات، والرجل الذي يقول لي الصدق أرحب به ولو كان في كلامه الموت كأنه يقص علي حكاية شائقة.

الرسول: لبينسس (وهذا خبر سيء الوقع) قد غزا آسيا مع جنوده حتى نهر الفرات وأصبحت أعلامه المنتصرة ترفرف على الربوع من سوريا إلى ليديا وأيونيا على حين...

أنطوني: تريد أن تقول أنطوني.

الرسول: حاشا يا سيدي.

أنطوني: إذن أفصح ولا تتلطف فيما يقوله الناس عني، واذكر لكليوباترا ما يقوله الناس عنها في روما، واذكر بصدق ألفاظ الذم التي يوجهونها هم وفلوفيا إلي، وتنديدهم بمعبودتي ما وسع الحقد أن يملى؛ ولعمري إن نشاط عقولنا لا يلبث أن يخمد إذا لم نغذه بالصدق، وإلا أصبحت مباءة للأفكار التافهة والخرافات وما لا خير فيه، وإن ذكرانا عيوبنا ليطهرها من كل ذلك حتى تصبح مصدراً للأفكار القيمة والآراء السديدة. وداعاً الآن لفترة قصيرة.

الرسول: كما تريد يا سيدي الفاضل

[يخرج]

أنطوني: أين الرسول من سيون لينبئنا بالأخبار؟

التابع الأول: الرجل من سيون. هل هناك رجل كهذا؟

التابع الثاني: هو في انتظار أوامر سيدي.

أنطوني: أحضره هنا. يجب أن أحطم هذه القيود المصرية، وإلا كان في حبي الطائش لها هلاكي.

[يدخل رسول ثان]

من أنت؟

الرسول الثاني: فلوفيا زوجتك قد ماتت.

أنطوني: أين ماتت؟

الرسول الثاني: في سيون، ومن هذه الرسالة تستطيع أن تلم بمدة مرضها وغير ذلك مما كان أشد وطأة عليها وما يعنيك معرفته [ليناوله خطاباً]

أنطوني: اتركني الآن.

[يخرج الرسول الثاني]

لقد قضت نفس زكية. ولقد كنت أتمنى ذلك، ولكن عند ما نمقت شيئاً ونطرحه جانباً نشتهيه مرة ثانية، وإن سرور المرء في يومه مع تغير الظروف وحوادث الأيام كثيراً ما يفقد قيمته ويستحيل ألماً؛ فعند ما ماتت فلوفيا وضحت إلى خصالها الطيبة، وصرت أتمنى أن لو تنقذها اليد التي قذفت بها إلى الموت، يجب أن أقطع علاقتي بهذه الملكة الساحرة، ولعمري إن خضوعي وركوني إليها سيجلبان علي الضرر أكثر مما أتصور. يا إنوبربس.

[يعود إنوبربس]

إنوبربس: ما الذي يريده سيدي؟

أنطوني: يجب أن أغادر هنا سريعاً.

إنوبربس: إذن سنقتل كل نسائنا من الحزن. ولقد عرفنا كيف يكون العمل القاسي قتلاً لهن فإذا تألمن لفراقنا قتلهن النوى والبعاد.

أنطوني: يجب أن أرحل.

إنوبربس: عنده ما يكون الأمر من الضرورة بحيث يستدعي هذه التضحية فلتمت النساء، ولو أنه عنده ما تتضارب أهمية الأمر والميل إليهن يجب أن ينحين جانباً ولا يلتفت إليهن. على أن كليوبا ترا لو سمعت بأية إشاعة عن هذا العزم ماتت في الحال؛ ولقد رأيتها تكاد يقضي عليها الأمر أقل أهمية من ذلك وأظن أنها ترجو من حالتها هذه الإمعان في إظهار دلالها والشغف بها أنطوني: إنها أكثر دهاء مما يظن الإنسان.

أنوبربس: اسمح لي أن أخالفك في هذا يا سيدي إن عواطفها لم تخلق إلا من أخلص أنواع الحب الذي لا تشوبه شائبة فإذا كان مظهره عند غيرها تنهداً ودموعاً فإنه عندها يظهر بمظهر الرياح والأمواج: إذ تبدي من الزعازع والأعاصير ما لم تثبته التقويمات الزمنية من قبل. وهذا ليس إلا تظاهراً منها بغير الحقيقة، ولوكان تظاهراً حقيقياً لذرفت دموعها كالمطر الهتون.

أنطوني: ليتني لم أرها!

إنوبربس: إذن كانت تفوتك رؤية قطعة فنية عجيبة، ولو لم يصادفك حسن الحظ ورأيتها للوثت سمعتك كسائح في أقطار العالم

أنطوني: لقد ماتت فلوفيا

إنوبربس: سيدي؟

أنطوني: لقد ماتت فلوفيا

إنوبربس: فلوفيا!

أنطوني: ماتت

إنوبربس: إذن تقدم بقربان شكر للآلهة على ذلك، فإذا ما سر الآلهة قبض روح زوجة إنسان – تظهر عطفها عليه بأن تزوجه امرأة أخرى، ومثلها في ذلك مثل الخياط الذي يعد الثوب الحديد ليحل محل القديم. ولو لم تكن هناك نساء غير فلوفيا لحل بك مصاب شديد تندبه، ولكن هذا المصاب فيه بعض التسلية والعزاء، إذ موت زوجة سيتيح لك فرصة لتتزوج أخرى، وليس هناك داع لذرف الدموع على هذا الحادث.

أنطوني: ولكن موتها يسبب لي مشاغل في شؤون الدولة حتى لا يمكن أن أغيب عنها.

أنوبربس: ولكن الشئون التي انغمست فيها هنا لا يمكن أن تستقيم بدونك، وبخاصة شئون كليوباترا، هذه الشئون التي يتوقف كل مصيرها عليك.

أنطوني: دعك من هذه السخرية وأخبر ضباطي بعزمي، وسأخبر الملكة بعزمي على الرحيل واستأذنها في السفر: إذ ليس يضطرني إلى ذلك موت فلوفيا فحسب، بل هناك مهام الدولة العظيمة التي تدعوني وتلح في ذلك، هذا إلى رسالات إخواني بروما المخلصين لي، فإنها تستحثني على الذهاب إلى أرض الوطن. فإن سكتس بمبي قد شهر الحرب على قيصر، وله كل القوة في البحر، وإن شعبنا الذي لا يستقر على حال في رأيه، والذي لا يناصر الشخص المستحق إلا بعد فوات الأوان، أخذ يخلع رداء طاعة

المنظر الثالث

قصر كليوباترا - حجرة أخرى

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس وألكسس]

كليوباترا: أين هو؟

شرميان: لم أره بعد.

كليوباترا: "إلى ألكسس" ابحث عنه وأخبرني عمن معه، وعما يشغله بدون أن يعلم أني أرسلتك، فإذا وجدته حزيناً فقل له إني أرقص، وإذا كان مسروراً فأخبره بأني فوجئت

بمرض؛ هيا على عجل وعد.

[يخرج]

شرميان: سيدتي إذا كنت تحبينه حباً جماً كما تدعين فإنك لا تستعملين الوسائل الحقة التي تثير فيه نفس الشعور بالحب.

كليوباترا: وما الذي يجب على عمله ولم أعمله؟

شرميان: امتثلي له في كل أمر، ولا تخالفيه في شيء.

كليوباترا: إن نصيحتك نصيحة امرأة مجنونة تؤدي إلى فقدي إياه.

شرميان: لا تغالي في التنكر له، بل اجتني ذلك! لأن الشيء الذي

يكون لدينا من الأسباب ما نخشاه كثيراً ما يئول بنا الأمر إلى كرهه.
ها هو ذا أنطوني قادم [يدخل أنطوني]

كليوباترا [إلى شرميان]: ولكن سأدعي الحزن والاكتئاب.

أنطوني: يؤسفني أن أبوح بعزمي.

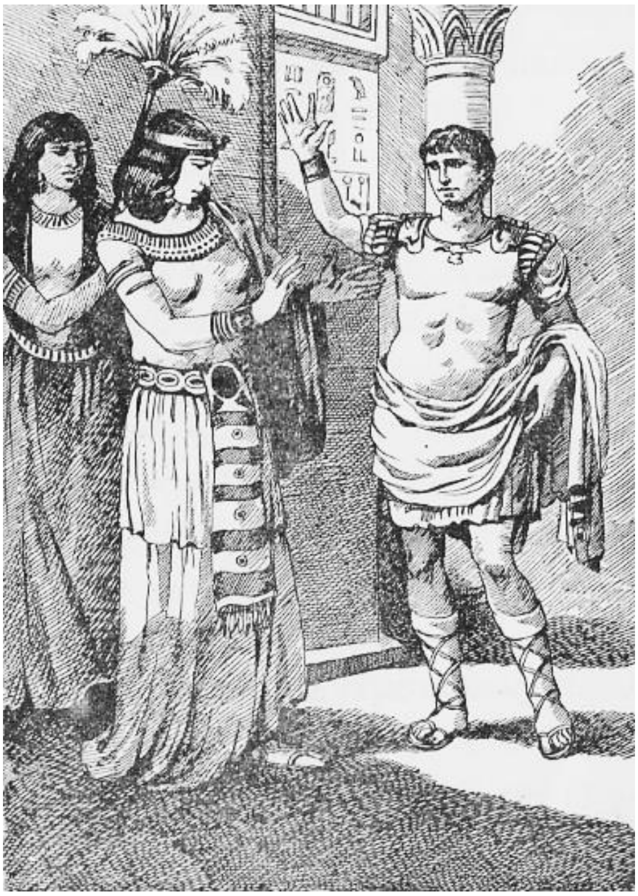
كليوباترا: دعيني يا شرميان أعتمد عليك لئلا أسقط مغشياً على ومن المحال أن يستمر هذا الألم فإن طبيعتي ستنوء به.

أنطوني: والآن يا أعز ملكاتي.

كليوباترا: أرجوك أن تبتعد عني.

أنطوني: ما الذي جرى؟

كليوباترا: إني أعرف من ملامحك أن لديك أخباراً سارة. ماذا تقول لك المرأة التي تزوجتها؟ ارحل. وكم كنت أتمنى أنها لم تسمح لك بالحضور هنا. فلا تجعلها تعتقد أني أنا التي حجزتك هنا، فليس لي سلطان عليك وأنت لها.



أنطوني: تعلم الآلهة خير مما نعلمه.

كليوباترا: لم يوجد ملكة خدعت خداعاً مثلي، مع أني منذ أول الأمر وكنت متيقظة للخيانة المدبرة لي.

أنطوني: يا كليوباترا...

كليوباترا: ولماذا أظن أنك تكون ملكاً لي، حتى لو أقسمت الأيمان المغلظة التي تزلزل الآلهة عن عروشها مع أنك حنثت في يمينك لفلوفيا؟ إنه الخبل مطبق أن يسمح المرء لنفسه بتصديق الأيمان الفارغة

التي لا ينطق بها الإنسان إلا ليحنث فيها.

أنطوني: يا أجمل الملكات...

كليوباترا: أرجوك ألا تلتمس المعاذير لرحيلك بل ودع وسافر. عند ما رجوت أن تمكث هنا كنت ملحاً في ذلك بخطبك وأحاديثك ولم تكن تفكر آنئذ في الرحيل كما تزمع الآن وكنت تقسم على ذلك بالأيمان المغلظة حتى ظننا أننا لن يفترق بعضنا عن بعض إلى الأبد، وكان ذلك بادياً على شفتينا وأعيننا، كما نمت عن السعادة جوارحنا وكما بدا لنا كل شيء عظيماً مهما كان تافهاً. وقد ظلت الحال كذلك إلى الآن، اللهم إلا إذا كنت وأنت أكبر جندي في العالم قد استحلت، فصرت أكبر مخادع فيه.

أنطوني: وكيف كان ذلك يا سيدتي؟

كليوباترا: ألا ليت لي قامتك وقوتك. إذن لوجدت شجاعتي قادرة على إخضاعك وإذلالك.

أنطوني: اصغي إلي أيتها الملكة. إن مقتضيات الظروف الملحة تتطلبني وقتاً قصيراً، ولكن قلبي لما فيه من الحب الجم سيبقى تحت سيطرتك. لقد قامت الثورة، واشتعلت الحرب في إيطاليا: فسكتس بمبي يزحف بجحافله على ثغر روما. ووجود قوتين متعادلتين في الكفاح تنشأ عنهما عصابات تزن قوة كل منهما لترى أيهما تنضم إليها. والفئة المكروهة إذا ما زادت قوتها، تصبح محبوبة: فهذا بمبي الذي كان مرذولاً منذ مدة وجيزة تسربل سربال شهرة والده، فتسلل حبه إلى قلوب

الفئة التي لم تنل حظاً من الحكومة الحالية وأصبحت تهددها، وإذا سئم الناس هدوءاً غير ثابت الأساس تطلعوا إلى تغييره مهما يكن ما يعقبه، ولكن لا يهمني من ذلك كله إلا موت فلوفيا، وهذا يثبت لك أن ذهابي يجب ألا يقلقك.

كليوباترا: ولو أن سن الحصافة والتبصر التي قد بلغتها لم تستطع تعليمي

الإقلاع عن طيشي في الحياة فإنها تعلمني ألا يبلغ الطيش مني أن أصدق ما تقوله عن موت فلوفيا. هل حقاً ماتت فلوقيا ؟

أنطوني: لقد ماتت يا ملكتي. انظري هذه [يعطيها رسالة] وفي وقت فراغك اقرئي عن الثورة التي أحدثها موتها. واقرئي أيضاً، يا أحب الناس لدي، متى ماتت وأين كان ذلك.

كليوباترا: أيها الحبيب المخادع أين ذهبت أيمانك المقدسة التي ذرفت معها دموع الحزن ؟. لقد وضح لي كل شيء الآن وضوحاً تاماً وظهر لي كيف تقابل خبر موتي بالقياس إلى ما ظهر منك عند ما سمعت خبر موت فلوفيا.

أنطوني: قللي من مشاكستك، واستعدي لتسمعي ما عزمت عليه وأخبريني برأيك فيه، وسيتوقف تنفيذي لغرضي أو الإقلاع عنه على ما تسدينه لي من النصيحة. وإني لأقسم بالشمس التي تحدث الخصب في رواسب ماء النيل أني سأبرح هنا وما زلت جنديك وخادمك. وسأشهر الحرب أو أفاوض في السلم على حسب مشورتك.

كليوباترا: اقطعي يا شرميان أربطة ردائي بسرعة. لا، اتركيها؛ فإنه سرعان ما يعتريني المرض، وسرعان ما يذهب عني. هكذا يحب أنطوني!

أنطوني: يا ملكتي الغالية، كفى. وثقي أن حبي لك قوي عميق لا تزعزعه الحوادث مهما كانت عاصفة.

كليوباترا: هكذا قالت لي فلوفيا. أرجوك أن تتنحى جانباً وتبكي من أجلها ثم ودعني وتظاهر بأن هذه الدموع من أجل ملكة مصر. يا رفيقي العزيز هل لك أن تمثل لي دوراً بالغ التصنع، وتظهر عليه سيماء الحق ؟

أنطوني: ستثيرين غضبي فكفى..

كليوباترا: ليس هذا مجهوداً رديئاً منك ولكن في استطاعتك أن تبذل مجهوداً أحسن منه.

أنطوني: وحق سيفي...

كليوباترا: يجب أن تضيف ومجني. انظري يا شرميان إنه يتحمس

ولكنه لم يصل غاية جهده بعد. تأملي كيف يستطيع هذا الشجاع الروماني أن يظهر كل محاسن الغضب الذي يمثله.

أنطوني: سأتركك يا سيدتي.

كليوباترا: أيها السيد المهذب اسمح لي بكلمة: أنا وأنت يا سيدي يجب أن نفترق، ولكن ليس هذا ما أردت قوله. لقد أحب كلانا الآخر، ولكن ليس هذا هو ما أفكر فيه، وأنت تعرف ذلك معرفة جيدة، وإنما هناك أمر ذو أهمية خاصة أرغب أن أقوله: يا ويحي من ذاكرتي التي

تخونني كما يخوني أنطونيو! إني أنسى كل شيء.

أنطوني: لو لم يكن من شأنك بوصفك ملكة أن تكوني كسولاً لاعتبرتك الكسل نفسه مجسماً.

كليوباترا: تستطيع أن تمزح كما تشاء، وما يسرك أن تسميه كسلاً مني هو في الواقع حزن يكاد يسحق ولو أني أدعي السخرية منه، ولكن سامحني يا سيدي، حيث إن الصفات التي أزهو بها هي نفس أسباب تعذيبي عند ما تظهر أمام عينيك غير لائقة. إن شرفك يدعوك للرحيل من هنا لذلك لا تصغ إلى طيشي الذي لا يستحق الشفقة. ولترحل تحرسك عناية الله ورعايته، وليكتب لسيفك النصر! ولتنثر أزهار النجاح والظفر تحت تحت قدميك!.

أنطوني: فلنرحل إذن، ولو بعد بعضنا عن بعض فإن روحينا تعيشان معاً، فأنت ولو أنك باقية هنا بجسمك ستصحبينني بروحك وأنا مع أني أرحل بجسمي إن روحي باقية معك. هيا بنا.

[يخرجون]

المنظر الرابع

روما - منزل قيصر

[يدخل أكتافيوس قيصر "وهو يقرأ خطابا، وليبس وحاشيتهما"]

قيصر: أنت ترى ياليبدس، ويجب أن تعلم من الآن فصاعداً أنه ليس من صفات قيصر الطبيعية أن يكره ويبغض، غير أن الأخبار عن شريكنا في الحكم والذي بالإسكندرية تدل على أنه يصرف وقته نهاراً في صيد السمك أو احتساء الخمر وليلاً في المرح والطرب، وهو في ذلك ليس أكثر رجولة من كليوباترا ولا ملكة البطالسة أكثر خنوثة منه وقل أن يتنازل ويصغي إلى سفرائنا ولا يتلطف بأن يعاملنا بوصفنا شركاء له في الحكم، وإنك لتجد هناك رجلاً خلاصته كل الرذائل التي تصم الإنسان بوصمة العار.

ليبدس: إني أعتقد أن ما به من الرذائل لا يغض من كل صفاته الطيبة وحسناته، وأن عيوبه مثلها مثل النجوم لا تسطع إلا في الليالي المظلمة، وأنها ترجع إلى أسلافه لا إلى نفسه، ولا يستطيع أن يغيرها باختياره.

قيصر: لقد أفرطت في تسامحك. فلنفرض أن الخطأ لم يكن خطأه إن وقع في حبائل ابنة البطالسة، وتنازل عن مملكته من أجل الإغراق في اللهو والسرور والجلوس على نفس المائدة مع السفلة من القوم وتبادل

كؤوس الراح معهم، وجوب الشوارع ظهراً وهو يترنح من السكر، وأن يلطم كالرعاع ذوي العرق المنتن، فقل أكان كل هذا يلائمه؟ اللهم إلا إذا كان هو رجلاً شريف الطباع فوق الوصف حتى لا يتأثر بمثله تأثراً مرذولاً. ومع ذلك فمن المستحيل أن يكون الأنطوني عذر فيما ارتكبه، وتركنا نتحمل ما تحملناه من الأعباء بسبب طيشه، وحيث أنه لم يصرف وقته إلا في الانهماك في اللذات يجب أن يعاقب عقاباً كافياً، وليتحمل الآلام التي هي النتيجة الطبيعية لذلك.

ولكن ضياع وقت كهذا – هذا الوقت الذي كان يجب أن يدعوه لهجر الملاذ، وتستدعي حالتنا وجوده – تجعله مستحقاً للتأنيب كما يؤنب تلاميذ المدارس الذين على ما بهم من نضج العقل لمعرفة ما هو خير لهم تراهم على استعداد للتضحية بتجاربهم من أجل سرور وقتي كان يجب أن يربأ بهم حزمهم عنه وتثور حكمتهم عليه.

[يدخل الرسول]

ليبديس: ها هي ذي أخبار أخرى.

الرسول: لقد بلغت أوامرك، وستصلك أخبار أخرى في كل ساعة عن الأقطار النائية، فبمبي قوي في البحر وهو على ما يظهر محبوب من أولئك الذين يخشون بأس قيصر. ويلجأ المتذمرون إلى الثغور وتدور الشائعات بين الناس بأن بمبي قد ظلم كثيراً. كان يجب ألا أعرف أقل من ذلك، ولقد تعلمنا أنه منذ أقدم العصور يتمتع الرجل بالسلطان ما دامت سلطته مؤيدة، كما أن الرجل الذي خانه الحظ فنزل به إلى

الحضيض لا يعترف له بسلطان إلا في الوقت الذي يحتاج فيه إلى ذلك، وأن العامة في ذلك مثلهم كمثل مشردي الإنسانية الذين لا يستقر لهم قرار! فهم كزهرة السوسن التي يعبث بها الموج في مجرى النهر، إذ يتبعون هذا وذاك، كالخادم الذي يجري وراء سيده حتى ينهكه التعب.

الرسول: وإني أنبئك بأن منكرتس وميناس من لصوص البحار المشهورين يجوبون البحار بسفنهم الكثيرة، وكأن البحار خلقت لمثل أغراضهم السافلة فيشنون الغارات الوحشية الكثيرة على إيطاليا. وسكان الشواطئ تأخذهم الرهبة فتفقدهم حواسهم ويضطربون من جراء ذلك. والشبان الطائشون من المملكة يفرون للاندماج معهم ولا تكاد سفينة على ما بها من الحذر تظهر حتى تؤسر فإن اسم بمبي يورث الرهبة والرعب في القلوب أعظم مما لو قوبل وقووم.

قيصر: يا أنطوني اترك ملاذك الشهوانية فعند ما خذلت في مودينا حيث قتلت هيراتس وبنسا القنصلين اللذين اقتفيا أثرك وأعقب ذلك المجاعة التي حاربتها، على ما بك من ترف في التربية، بكل قوة وثبات، وتحملت ما يتحمله الرجل المتوحش: فلقد شربت من بول البهائم، ونقع البرك الذي تأنف منه الدواب، واستطاب فمك أسوأ ثمر العليق على أخس الأسوار، وكنت كغزال غطى مرعاه الثلج فاستعاض عنه بقشر الأشجار، و يقولون إنك أكلت وأنت على جبال الألب لحوماً غريبة يموت المرء من مجرد النظر إليها. إني أذكر كل ذلك لأوازن بين حالتك عندئذ وحالتك الآن التي تلطخ شرفك، فإنك حينئذ سرت سيرة الفارس الشريف ولم تفقد وجنتاك نضارتهما.

ليبدس: وا رحمتاه له!

قيصر: يجب أن تدفعه مخازيه إلى روما سريعاً، وقد آن الأوان أن نظهر نحن الاثنين في ساحة المعركة. ولهذا يجب أن ندعو مجلساً على عجل لأن بمبي يسود بسبب تراخينا.

ليبدس: في الغد يا قيصر سيكون لدي ما أنبئك به من المعدات البحرية والبرية التي جهزتها لمواجهة الظروف الحاضرة.

قيصر: وإلى أن تحين هذه المقابلة سأنصرف للتيقن من معرفة مواردي. وداعاً.

ليبدس: وداعاً يا سيدي وأرجو أن تخبرني بكل ما يصلك عن أنباء الثورة والقلاقل.

قيصر: لا شك في ذلك يا سيدي، وإني علمت وما زلت أعلم أني مدين لك.

[يخرجون]

المنظر الخامس

الإسكندرية - قيصر كليوباترا

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس ومرديان]

كليوباترا: يا شرميان

شرميان: سيدتي

كليوباترا: ها! ها! أعطني شراب التفاح المخدر.

شرميان: ولم ذلك يا سيدتي؟

كليوباترا: كي أستطيع أن أنام المدة الطويلة الغائب فيها انطنييّ عني.

شرميان: إنك تفكرين فيه أكثر من اللازم.

كليوباترا: إنها لخيانة!

شرميان: أرجو ألا يكون الأمر كذلك يا سيدتي.

كليوباترا: أيها الأغا مرديان!

مارديان: ما الذي تأمرين به يا صاحبة الجلالة؟

كليوباترا: ليس الآن مجال الغناء يا شرميان. أين تظنين هو الآن أقائم هو أم قاعد! أم ممتط صهوة جواده؟ أيها الجواد السعيد الذي يظفر بجسم أنطوني عليه، ابذل كل قوتك وجهدك لأن الشخص الذي

يعلوك هو ذلك الجبار الذي يحمل نصف العالم على عاتقه، إنه أشد الناس ساعداً، وكأني به يقول أين ثعباني بمصر؟ (إذ كان يدعوني كذلك) ألا إن التفكر فيه وفي محاسنه التي لا تشوبها شائبة تجعلني أشعر بمرارة فرقته حتى كأني أتجرع السم. وهل يفكر في وجهي الذي لفحته حرارة الشمس، وأحدثت فيه التجعدات العميقة على مر الزمان؟ أيها – القيصر ذا الجبين الوضاح عند ما كنت هنا حياً كنت ملكة، وكان بمبي العظيم يرمق بعينيه وجهي، ويحدق فيه وكأني به لا يستطيع التحول عنه.

[يدخل ألكسس]

الكس: سلاماً يا ملكة مصر:

كليوباترا: ما أبعد الشبه بينك وبين مارك أنطوني! ولكن بما أنك عدت من عنده فإن خصاله الطيبة قد أكسبتك رواء. كيف حال أنطوني الشجاع ؟

ألكسس: آخر شيء فعله هو إهداؤه لك هذه اللؤلؤة الشرقية مع القبلات الجمة وكلماته تعلق بذاكرتي.

كليوباترا: يجب أن تنزعها أذني من هناك.

ألكس: لقد قال "يا صديقي العزيز قال إن الروماني الثابت على حبه يرسل لك هذه اللؤلؤة الثمينة، وفضلاً عن ذلك فإنه لكي يجعل هديته أكثر استحقاقاً للقبول سيضيف إلى سلطانها سلطان ممالك أخرى وستصبح سيدة كل الشرق". ثم سلم وركب بتؤدة جواداً جموحاً أخذ يصهل بصوت مرتفع حتى أن كلامي لم يسمع بسببه.

كليوباترا: أمكتئباً كان أم مسروراً؟

ألكس: كان مثل وقت السنة الذي يقع بين الأيام الشديدة الحر والأيام الشديدة البرد لا مكتئباً ولا مسروراً.

كليوباترا: ما أحسن اتزان ميوله! الحظي يا شرميان العزيزة: إن هذا هو شأن أنطوني. الحظي إنه لم يكن مكتئباً لأنه يريد أن يسر من ينظر إليه، ولم يكن مسروراً لأنه يريد أن يبث في نفس رفاقه أن مسراته تركها في مصر مع ذكرياته السارة، حقاً إنه خليط من الإنسان والملك ومهما أظهر من الشعور فإنه يلائمه أكثر من أي رجل آخر هل قابلت رسلي؟

ألكسس: نعم قابلت عشرين رسولاً. لماذا تتعجلين إرسال الرسل الكثيرة؟.

كليوباترا: إن من يولد في يوم لا أرسل فيه رسولاً لأنطوني سيموت شحاذاً سيء الحظ. على بالمداد والقرطاس يا شرميان. مرحباً يا ألكسس الطيب، هل أحببت يا شرميان يوليوس

قيصر هكذا؟

شرميان: قيصر ذلك الشجاع؟

كليوباترا: فلتخمد أنفاسك إذا أطريت قيصر بمثل هذا المديح المؤكد.

شرميان: قيصر البطل المغوار!

كليوباترا: وحق إيزيس لأدمين فاك لو وازنت قيصر برجلي الذي هو سيد الرجال.

شرميان: أستميح جلالتك العفو فإني أحذو حذوك.

كليوباترا: لقد قلت هذه الكلمات عند ما كنت فتاة صغيرة السن، وعند ما كانت قوة حكمي على الأمور غير ناضجة، ولا بد أن تكوني جامدة الشعور حتى تذكري ما قلته حينئذ. ولكن هيا فأحضري حبراً وقرطاساً، وسأرسل له كل يوم تحيات كثيرة وإلا سأهلك سكان مملكتي.

[يخرجون]

الفصل الثاني

المنظر الأول

مسينا - منزل بمبي

[يدخل بمبي ومنكراتس وميناس في ملابسهم العسكرية]

بمبي: إذا كانت الآلهة عادلة، فستساعد الرجال العدول على النصر

منكراتس: اعلم يا بمبي النبيل أنهم قد يمهلون، ولكنهم لا يهملون مساعدتهم لنا.

بمبي: إن الإمهال في إجابة دعواتنا قد يقلل من قيمة مبتغانا.

منكراتس: إن جهلنا بحقيقة أنفسنا قد يجعلنا نطلب ما فيه ضررنا.

وهذا ما تحرمنا إياه القوى الحكيمة لصالحنا. ولهذا نستفيد من جراء عدم إجابة دعواتنا.

بمبي: إني متيقن من النجاح لأن الشعب يحبني، هذا إلى أني سيد البحار؛ فإن قوتي آخذة في الصعود وإني أتنبأ بأنها لا تلبث أن تصل إلى ذروتها، فهذا مارك أنطوني يجلس في مصر على الموائد ولا يشن غارة خارج هذه الديار وقيصر يكسب المال ويخسر قلوب الرجال الذين يغتصبه مي منكراتس منهم، وليبدس يتملق الاثنين، ويملقانه، ولكنه لا يحبهما ولا يعبأ كل منهما به.

ميناس: إن قيصر وليبدس على رأس جنودهما في الميدان

وجحافلهم عظيمة القوة.

بمبي: من أين جاء لك هذا؟ إنه لكذب

ميناس: من سلفيس يا سيدي.

بمبي: إنه يحلم. إني أعلم أنهما بروما معاً ينتظران قدوم أنطوني للانضمام إليهما، ولكن شفتي كليوباترا الأجوب تفيضان الجمال حتى على شفتيك اللتين فقدتا جمالهما الأول! فما بالك بالسحر مع الجمال والميل الجامح إذا انضم إليهما! إنها توقع أنطوني في حبائلها بالملاذ، وتأسر عقله بخمرها وولائمها، وطهاتها تزيد في حرافة طعامها بإضافة مرق التوابل والأفاويه إليه فتزيد شهوته للأكل وتسترخي أعصابه وتنام فترخي على شرفه السدول؛ وكأني به وقد اجترع شربة من ماء نهر النسيان.

[يدخل فريس]

ما وراءك يا فريس؟

فريس: إني متيقن مما سأقوله، إن مارك أنطوني ينتظر مجيئه ساعة بعد أخرى في روما، ربما أنه قد رحل من مصر فسيحضر بعد وقت أقصر مما تظن.

بمبي: لقد كنت أعير أمراً أقل أهمية من هذا أذناً صاغية، فما كنت أظن يا ميناس أن هذا الولهان المترف سيلبس ملابس الجندي من أجل حرب صغيرة كهذه. إن قوته تضارع قوة الاثنين. ولكن يجب أن أعجب

بنفسي التي جعلت قيام الثورة على يدي سبباً بلغ من أهميته أن أبعدت أنطوني عما هو فيه من النعيم والمرح المتمتع بهما في مصر واللذين لا يملهما أبداً.

ميناس: ليس من المنتظر أن قيصر وأنطوني يتقابلان مقابلة ودية لأن زوجة أنطوني التي ماتت كدرت خاطر قيصر كثيراً، هذا فضلاً على أن أخاه حارب قيصر ولو أني أظن أن أنطوني لم يحرضه على ذلك.

بمبي: لا أدري يا ميناس، فلقد ينسيان العداوة اليسيرة، وهما مهددان بعداوة أعظم خطراً، ولولا أننا نهددهما لاختلفا فيما بينهما على الأرجح لأن لديهما من الأسباب ما يحملهما على ذلك، ولكنا لا نعلم كيف يؤثر مقدار خوفهما منا في رتق ما بينهما من خلاف يسير واتحادهما علينا وللمحافظة على حياتنا يحدونا الواجب أن نحاربهما بكل ما لدينا من أحسن قواتنا. هنا يا ميناس.

[يخرجون]

المنظر الثاني

روما - منزل ليبدس

[يدخل إنوبريس – وليبدس]

ليبدس: إيه يا إنوبربس الطيب إنه لعمل صالح منك ولائق بك أن ترجو قائدك أن يتكلم بألفاظ رقيقة هادئة.

إنوبربس: إني لن أعدك بأني سأحمله على قبول ذلك ولكني سأحضه على الإجابة اللائقة به، غير أنه إذا أثاره قيصر فإنه سيعامله بمنتهي الاحتقار، ويرفع صوته عالياً؛ وحق إله الحرب لو كنت في مركز أنطونيو لازدريته عند مقابلته.

ليبدس: ليس هذا أوان الغطرسة والغضب.

إنوبريس: لكل أمر أوان يناسبه.

ليبدس: لكن الأشياء التافهة يجب أن تذعن لما هو أكثر أهمية منا.

إنوبريس: ليس الأمر كذلك إذا كانت الأشياء التافهة تأتي أولاً.

ليبدس: إن كلامك صادر عن الغضب، وأرجوك ألا تثير الأحقاد القديمة، ها هو ذا النبيل أنطوني قد حضر.

[يدخل أنطوني وفنتنديس]:

إنوبريس: وهناك قيصر

[يدخل قيصر ومسيناس وأجربا]

أنطوني: إذا اتفقنا اتفاقاً مرضياً فسترحل إلى بارثيا. أنصت يافتنديس

قيصر: لا أدري[١]. اسأل يا أجربا مسيناس.

ليبدس: أيها الأصدقاء الشرفاء، إن الحوادث التي كانت سبب اتفاقنا كانت جليلة الخطر، فلا تجعلوا الأشياء الأقل منها شأناً سبباً في فصم عرانا، وليبد كل منا ظلامته هادئاً. لأننا إذا تحدثنا في أسباب النفور والشقاق بغضب وتهيج فإن الجروح التي نريد أن تلتئم تنتغض وتصير قتالة، لذلك، أيها الشركاء الشرفاء، أرجوكم أن تبحثوا في مطالبكم بهدوء ورفق، وألا تزيدوها بثورة الغضب.

أنطوني: هذا كلام حسن، ولو كنت أمام جيشي، ومستعداً للقتال لعملت به.

قيصر: مرحباً بك في روما.

أنطوني: أشكر لك.

قيصر: اجلس.

أنطوني: واجلس أنت يا سيدي.

قيصر: حسناً ما دمت تريد ذلك.

([١]) هذا جواب لسؤال سأله مسيناس عند الدخول.

أنطوني: لقد بلغني أنك مستاء من بعض فعالي التي لا تستحق التأنيب وإذا كانت تستحق ذلك فهي لا تعنيك بأية حال لأنها أشياء شخصية.

قيصر: إني لأستحق الصغار إذا تكدر خاطري من لا شيء يصدر منك أو من أشياء تافهة، ومنك خاصة، وأستحق الصغار أكثر إذا تكلمت كلاماً غير لائق في وقت لا يهمني فيه ذكر اسمك.

أنطوني: وما الذي يهمك من وجودي في مصر يا قيصر؟

قيصر: لا يهمني وجودك بمصر أكثر مما يهمك وجودي بروما. ولكن إذا كنت هناك تدس الدسائس السلطاني فإن وجودك بمصر يهمني.

أنطوني: وما الذي تقصد بالكيد لسلطانك؟

قيصر: يمكنك أن تتنبأ بقصدي مما حصل لي هنا، فإن زوجتك وأخاها حارباني وإن قتالهما لي كان بسببك، ولقد زجاً باسمك في أثناء القتال.

أنطوني: لقد أسأت فهم ما ذكرته، لأن أخي لم يقل إلى السبب في نضاله معك، ولقد استقصيت الأمر، واستقيت أخباره من مصادر وثيقة – مصادر ساعدتك في القتال. ألا يمكن أن يقال إنه إذا نال من سلطتك، فإنه ينال مني؟ وإنه قاتل ضد رغبتي، وإن قضيتك هي نفس قضيتي، لأن مصالحنا متكافئة، ولقد أقنعتاك بخطاباتي من قبل، فإذا أردت أن تتشاجر من أجل شوارد، إذ ليس لديك ما يحملك على الشجار،

فلتبحث عن سبب آخر غير سلوك أخي

قيصر: لقد مدحت نفسك بأن نسبت إلى سوء حكمي على الأمور، على حين أن معاذيرك مهلهلة.

أنطوني: ليس الأمر كذلك. ليس الأمر كذلك، لأني متثبت أنك لا تستطيع إلا الشعور بأنه يستحيل علي، وصالحي صالحك أن أنظر بعين الرضا إلى هذه الحروب التي تنغص على هدوئي أما زوجتي فيا ليت لك في غيرها نفس روحها القوية. إن ثلث العالم تحت سيطرتك وتستطيع أن ترعاه وتسلس قيادته أما زوجة كهذه فلا!

إنوبربس: يا ليت لنا جميعاً مثل هذه الزوجة حتى تحارب النساء الرجال!

انطوني: إني أسلم متأسفاً أن الهياج الذي أثارته زوجتي بسبب شرود طبيعتها وعنادها، ولو أن هذا العناد يشوبه بعض المكر والدهاء يجعل لك بعض الحق فيما تشكو من القلق الذي سببه لك ولكن يجب أن تعترف أنه لم يكن في استطاعتي منعه.

قيصر: لقد كتبت لك وأنت منغمس في النعيم بالإسكندرية، ولكنك وضعت خطاباتي في جيبك دون أن تقرأها، وأنبت رسولي وطردته من حضرتك.

أنطوني: سيدي: لقد دخل علي مفاجأة، وبدون استئذان، ولقد كنت في وليمة مع ثلاث ملوك، ولم أكن صاحياً من الخمر كما كنت في الصباح، ولكني أخبرته في اليوم الثاني عن حالتي، وبأني لم أكن مالكاً

لشعوري عند ما قابلته بازدراء، وكان هذا بمثابة اعتذار له. فلا تجعل سلوكي مع هذا الرجل سبباً في خصامنا، فإذا كان لا بد من الخصومة فدع عنك هذا الرجل ومعاملتي له.

قيصر: لقد تنكرت للعهد الذي ارتبطت به، ولا تستطيع أن تقول إني أنا نقضته.

ليبدس: مهلاً قيصر!

أنطوني: لا يا ليبدس اتركه يتكلم، إن الشرف الذي يتكلم عنه الآن ويزعم أني قصرت فيه، هو أمر مقدس، ولذلك أريد أن أسمع كل ما لديه من تقصيري، فاستمر يا قيصر وأفصح عن العهد الذي ارتبطت به.

قيصر: ذلك هو أن تمدني بالسلاح والمعونة عند ما أحتاجها، وهو ما أبيته علي.

أنطوني: خير من ذلك أن تقول إني أهملت ذلك عند ما استرقني اللهو والشراب وأفقداني طبيعة النبل والشرف اللذين هما من سجيتي وإني مع المحافظة على شرفي أعتذر عن هذا الإهمال. ولكن في حين أن عظمتي لا تعلن عن نفسها بدون صراحة، فإن الاعتراف بعيوني يجب ألا يغض من عظمتي، والحقيقة أن فلوفيا حاربت هنا لكي تستدعيني من مصر، ولكن بما أني لا أعرف السبب الذي دعاها إلى ذلك فإني أطلب الصفح اللائق بشرفي في مثل هذه الحالة.

ليبدس: لقد أحسن الكلام.

مسيناس: أرجو ألا تسترسلا أكثر من ذلك في غضبكما بعضكما من بعض وإن نسيانكما ذلك لتفرضه ضرورة تفرغكما للحالة الراهنة وضرورة مصالحتكما.

ليبدس: هذا كلام حسن يا مسيناس.

إنوبربس: وإذا اتفقتما في هذه الآونة على أن تكونا صديقين يمكنكما أن تستأنفا عداء كما عند ما تنهيان من قهر بمبي وتبعدانه عن طريقكما وسيكون لديكما الوقت للمناضلة إذا لم يشغلكما شاغل آخر.

أنطوني: ما أنت إلا جندي فحسب، ولا تعرف شيئاً من مهام السياسة، والأولى لك أن تصمت.

إنوبربس: لقد كدت أنسى أنه يجب على المرء أن يصمت عن إسداء النصح للصديق.

أنطوني: أنت تهين هذا الاجتماع الشريف وعليك أن تقلع عن الكلام.

إنوبربس: نعم وستجدني في المستقبل صامتاً كالجماد لا أعي ولا أسمع.

قيصر: إني لا أعارض في كنه كلام إنوبربس، ولكن لا تروقني الطريقة التي يدليه بها لأنه يتكلم بثرثرة في موضوع خطير ولكنه غير مخطئ في النتيجة التي قد يؤول إليها الأمر. وذلك أن نقطع علاقتنا بعضنا ببعض عند التغلب على بمبي، إذ يستحيل علينا أن نبقي أصدقاء

ما دامت أغراضنا متنافرة على أني مع ذلك لو أعلم أي رباط وثيق يربطنا بعضنا ببعض ما تأخرت في التمسك بأهدابه.

أجربا: اسمح لي يا سيدى القيصر أن أدلي برأيي.

قيصر: تكلم يا أجربا.

أجربا: لك أخت من والدتك يا أكتافيوس المحبوب وما أنطوني الآن أرمل

قيصر: لا تقل ذلك يا أجربا، فلو سمعتك كليوباترا لأنبتك على هذه الكلمات الطائشة. أنطوني: لست متزوجاً يا قيصر فاسمح لي أن أسمع بقية كلام أجربا.

أجربا: لكي تتوثق عرا الصداقة المتينة بينكما، ولكي تصيرا أخوين ولكي تربط قلوبكما برباط لا تنفصم عراه – زوج أنطوني أكتافيا: أكتافيا التي يتطلب جمالها رجلاً من أحسن الرجال، رجلاً لا يضارعه في نبل أخلاقه وجمال صفاته شخص آخر. وبهذا الزواج تزول كل الأحقاد الصغيرة التي تظهر الآن في أعينكما كبيرة، وكل المخاوف العظيمة التي تنذر الآن بالويل والثبور، كل هذه تصير هباء وكذلك كل الوقائع الحقة تصبح كأنها مهاترات لا شأن لها، هذا إلى أن حبها لكليكما سيجذبكما بعضكما نحو بعض، كما أنه يجذب حب الناس لكما وإني أستمحيكما العذر لإدلائي بهذا الرأي وهو ليس ابن ساعته لأني فكرت فيه طويلاً من قبل كما يقتضيه الواجب علي.

أنطوني: هل لقيصر أن يتكلم ؟

قيصر: لا، حتى أسمع رأي أنطوني فيما قيل الآن.

أنطوني: ما هي قدرة أجربا على التنفيذ إذا قلت له إني أقبل اقتراحك؟

قيصر: قدرة قيصر ونفوذه عند أكتافيا.

أنطوني: إن اقتراحاً موفقاً كهذا يحل كل مشاكلنا وإني أرحب به، وأضع يدي في يدك لأؤكد هذا العمل الجليل، ومن الآن سيسطر شعور الأخوة على أعمالنا ويتحكم في مقاصدنا ومصيرها.

قيصر: هاك يدي، وإني أمنحك أختاً لم يحب رجل أخته قدر محبتي لها. فلتعش لتربط قلوبنا وممالكنا بعضها ببعض، وإني لأرجو ألا تنفصم عرا ودادنا مطلقاً.

ليبدس: آمين. وأطلب لكما السعادة والهناءة.

أنطوني: إني لم أفكر مطلقاً في أن أشهر سيفي في وجه بمبي لأنه غمرني بنعم وأفضال كريمة منذ زمن وجيز، وليس لي إلا أن أشكره، وإلا جلبت على نفسي ملامة الرجل الجاحد للجميل الذي يقابل الإحسان بالإساءة والتحدي.

ليبدس: إن الوقت يستحثنا على المضي لمقابلة بمبي حالاً، وإلا فمن المؤكد أنه يقدم بجيشه لمهاجمتنا.

وأين هو؟

قيصر: بجوار جبل مسنيم "رأس بكمبانيا"

أنطوني: ما مقدار قوته البرية؟

قيصر: عظيمة وآخذة في الازدياد. أما البحر فهو المسيطر عليه دون غيره.

أنطوني: هكذا يشيعون، يا ليتنا استطعنا منازلته في معركة، هيا بنا نسرع في الاستعداد للمعركة، ولكن قبل ذلك هيا بنا نسرع في تنفيذ الأمر الذي تم اتفاقنا عليه.

قيصر: بكل سرور، وإني أدعوك لمقابلة أختي وسأصحبك إليها.

أنطوني: لا تحرمنا يا ليبدس من وجودك معنا.

ليبدس: أيها النبيل أنطوني ولا المرض نفسه يستطيع أن يمنعني من ذلك.

[ترنيم أبواق – يخرج قيصر وأنطوني وليبدس]:

مسيناس: مرحباً بقدومك من مصر يا سيدي

إنوبربس: يا مسيناس الشريف الذي يعزه قيصر كثيراً، ويا صديقي النبيل أجربا.

أجربا: يا إنوبربس الطيب.

مسيناس: إنه ليسرنا أن تكون الأحوال قد استقامت على هذه الصورة.

لقد استمتعت أيما استمتاع بمصر.

إنوبربس: نعم يا سيدي لقد جعلنا النهار سباتاً، واختفينا عن الأنظار، وجعلنا الليل سروراً بالشراب.

مسيناس: هل حقيقي أنكم كنتم تأكلون ثمانية خنازير برية عند الغذاء، ولم تكونوا أكثر من اثني عشر رجلاً؟

إنوبربس: هذا القدر كان ضئيلاً كضؤولة الذبابة بالنسبة إلى النسر

مسيناس: الحق يقال إنها سيدة بلغت منتهى العظمة واللطف.

إنوبربس: عند ما قابلت أنطوني أول مرة عند نهر سيدنس[٢] استولت على قلبه كما يستولي المرء على نقود ويضعها في كيسه.

إجربا: وهناك قابلته بكل أبهتها. اللهم إلا إذا كان مخبري خيالياً في وصفه.

إنوبربس: هاك القصة: إن السفينة التي قدمت عليها كانت كعرش مرصع، وكانت تتلألأ كأنها لهب النار، فالمؤخرة مصنوعة من الذهب المطروق، والشراع من نسيج بنفسجي اللون وينبعث منها أريج العطر الذي جذب لها قلب الرياح حتى كادت هذه يغمي عليها من شدة الهيام بها، أما المجاذيف فكانت من خالص الفضة وتقذف المياه على ترنيم الآلات الموسيقية حتى جعلت المياه التي دفعتها تزداد سرعة كأنها تعشق ضرباتها، أما شخصها فكل وصف يعجز عنه، وكانت مستلقية في مقصورتها المصنوعة من خيوط ذهبية؛ أما قوام جسمها فيفوق تمثال

(٢) نهر يجري عند قليقية.

آلهة الحب "فينس" الذي جعله خيال مفتنه أكثر جمالاً من الخلقة الطبيعية، وعلى جانبيها وقف ولدان جميلو القسمات وكأنهم إلهة العشق "كيبد" المبتسمة و بأيديهم مراوح متعددة الألوان تثير الهواء

فتشتد خمرة خديها بدلا من أن تبردهما وكأني بهم وقد أثاروا الحرارة التي استخدموا في تخفيف وطأتها.

أجربا: ما أبهاه من منظر في عيني أنطوني!

إنوبربس: أما نساؤها فكن كبنات إله البحر، كل منهن جميلة كغيد البحر في الأقاصيص، وقد قمن بخدمتها يقظات وزدن في جمال الصورة بحركاتهن الرشيقة اللاتي كن يبديها، وقد وقفت عند سكان المركب واحدة من هؤلاء، توجه السفينة



وكانت حيال السفينة وأشرعتها تتيه عجباً، بملامستها لهذه الأيدي الناعمة التي تلامسها. وتنبعث من السفينة روائح عطرية "لا يعرف مصدرها" فيشم رائحتها رجال الشواطئ المجاورة وقد خرج كل سكان المدينة لرؤيتها على حين كان أنطوني جالساً وحده في السوق، يكلم الهواء لأنه لم يجد مستمعاً له غيره، ولولا خوفه من إحداث فراغ الذهب هو بنفسه لرؤية كليوباترا، وأحدث خرقا في الطبيعة[٣]. أجربا: إيه أيتها المصرية النادرة!

(٣) أشار إلى بديهية في فلسفة أرسطو في ذلك الوقت وهي أن الطبيعة تكره الفراغ.

إنوبربس: عند ما نزلت من السفينة أرسل أنطوني يدعوها للعشاء معه،

فأجابته بأنه الأولى به أن يكون هو ضيفها، وألحت في الطلب. عند ذلك لم يسع أنطوني ذو الآداب الراقية أو الذي لم يرفض طلب أية سيدة، إلا أن يذهب إلى الوليمة بعد ما أصلح من شأنه، وبالغ في تجميل نفسه، فدفع قلبه ثمنا لأكلته. و بلغ من إعجابه بمضيفته إعجاباً عظيمًا أن جعل يطيل النظر فيها، فاشتغل بذلك عن الأكل ولم يتذوقه

أجربا: ما أعجبك أيتها الملكة الشابة!

إنوبريس: لقد رأيتها مرة تثب أربعين خطوة في الشارع العام، وعند ما تضايقت أنفسها تكلمت وهي تلهث فكان عدم استطاعتها الكلام بدون أن تلهث مما زاد في حسنها، وكأني بالكلمات تلفظ الجاذبية والإغراء

مسيتاس: يجب أن يتركها أنطوني تركاً نهائياً.

إنوبربس ولن يفعل ذلك مطلقاً، إن التقدم في السن لن يزيل نضارتها ولا التعود على رؤيتها يغض من محاسنها العظيمة المقطوعة النظير إن النساء الأخريات تفعمهن الشهوات التي يثرنها، أما هي فلا تنال كثرتها من جمالها بل إنها لتزيد الفؤاد هياماً بها، وشغفاً بالإقبال عليها وما أحراها بهذا البيت:

يزيدك وجهها حسناً * * * إذ ما زدته نظراً(٤)

(٤) زيادة من عند المعرب.

والصفات التي تعتبر في ذاتها خبثاً وسفالة تصبح فيها أكثر بهجة وجمالاً حتى أن رجال الدين يباركون رعونتها.

مسيتاس: إذا اطمأن قلب أنطوني إلى الجمال والحكمة والعفة فإن أكتافيا ستكون نصيباً مباركاً له.

أجربا: هيا نذهب يا إنوبربس الطيب ولتكن في ضيافتي مدة إقامتك بروما.

إنوبريس: إني أشكرك يا سيدى بكل خضوع.

[يخرجون]

المنظر الثالث

منزل قيصر

[يدخل أنطوني وقيصر وأكتافيا بينهما والخدم]

أنطوني: ستضطرني مهام الدولة والواجبات التي يقتضيها مركزي أن أبعد عنك.

أكتافيا: وفي أثناء هذا الوقت سأركع وأصلي للآلهة من أجلك.

أنطوني: أسعدت مساء يا سيدي، يا أكتافيا العزيزة لا تصغي إلى ما يشيعه الناس عن عيوني لأني حتى في هذه الساعة لم أنظم حياتي بما يوافق مقتضيات الظروف، ولكني سأنظم ما بقي منها تنظيماً مستطاباً. أسعدت مساء يا سيدتي العزيزة أسعدت مساء يا سيدي.

قيصر: أسعدت مساء.

[يخرج قيصر وأكتافيا]

[يدخل العراف]

أنطوني: والآن يا فتى، ينم مظهرك على أنك تود العودة إلى مصر.

العراف: يا ليتني ويا ليتك لم نحضر من هناك.

أنطوني: علي بالأسباب إن استطعت.

العراف: إني أشعر بذلك ببصيرتي، ولا أستطيع أن أفصح باللسان عن هذا الشعور، ولكن عليك أن ترحل إلى مصر ثانية.

أنطوني: نبئني من سيكون أسعد حظاً وأرفع شأناً أنا أم قيصر؟:

العراف: قيصر، ولذلك يجب ألا تبقى بجانبه، فإن الروح التي تشرف عليك وتحرسك هي روح لها غاية الشرف والشجاعة ولا نظير لها، وذلك عند ما تكون الروح المسيطرة على قيصر بعيدة عنها حتى لا تزعجها ولكن بجواره تخضع روحه روحك وتقضي عليها قضاء مبرماً، فأنا عنه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

أنطوني: أمسك عن هذا الكلام، ولا تذكره لأحد.

العراف: لم أقله لأحد غيرك، ولن أقوله مطلقاً لشخص غيرك، فإذا لاعبته في أية لعبة فلا مناص من خسارتك بسبب تفوق حظه الطبيعي الذي يجعله يكسب حتى ولو كانت الظروف مواتية لك، وإن سناء أخلاقك وبهجتها لتنطمس عند بزوغه، وإني أكرر قولي من أن روحك تخشى رعايتك وأنت بالقرب منه، وعند غيابه يظهر نبلها.

أنطوني: هيا اخرج وأخبر فنتديس أني أريد التكلم معه.

[يخرج العراف]

وسيذهب إلى بارثيا. ولعمري إن العراف سواء أكان يعرف صناعته أم نطق بما قاله على سبيل المصادفة، إنه قال الحق حتى أن قيصر عند ما يلعب بالنرد يأتي بالعدد الذي يريده، وعند ما نتنافس في الألعاب

الرياضية تذوب مقدرتي أمام حظه، وإذا سحبنا الأنصبة يكسب، وعند صراع الديكة تغلب ديكته ديكتي حتى ولو كانت قوة تلك لا شيء بالنسبة لقوة هذه، وسمانه عند حبسه في قفص مع سماني يغلبه على ما به من المرانة. سأرحل إلى مصر، وإني وإن كنت سأنفذ هذا الزواج حتى لا يضايقني قيصر فإن بهجتي وسروري ستبقى في الشرق.

[يدخل فنتديس]

تعال يا فنتديس يجب أن ترحل إلى بارثيا، وقد أعددت أوراق اعتماد تعيينك هناك، لوضع الأمور في نصابها فاتبعني وتسلمها

[خرجون]

المنظر الرابع

شارع بروما

[يدخل ليبدس ومسيناس وأجربا]

ليبديس: لا تتعبا نفسيكما أكثر من قبل، وأرجو أن تسرعا، وسيتبعكما القواد فيما بعد.

أجربا: سننتظر حتى يقبل أنطوني أكتافيا قبلة الوداع ثم نتبعكما.

ليبدس: الوداع حتى أراكما في زي الجندية الذي يلائمكما ملاءمة حسنة.

مسيتاس: وسنكون على حسب تقديري للزمن الذي يستغرقه قطع المسافة عند الجبل قبلك.

ليبدس: طريقكما أقصر أما أنا فمهامي تقتضي أن أسير في طريق دائري وعلى ذلك ستسبقاني بيومين.

مسيناس أجربا: نتمنى لك يا سيدي النجاح.

لبيدس: وداعاً.

[يخرجون]

المنظر الخامس

الإسكندرية "قصر كليوباترا"

[تدخل كليوباترا وشرميان وأزاس وألكس]

كليوباترا: علي بالموسيقى، هذه الموسيقى هي غذاء الحزينة منا التي يشغلها الحب.

التابع: اعزفوا على الآلات الموسيقية.

[يدخل مرديان – أغا القصر]

كليوباترا: لنترك الموسيقى وحدها، وهيا بنا إلى البليارد. تعالي يا شرميان.

شرميان: إن ذراعي به ألم، والأفضل أن تلعبي مع مرديان.

كليوباترا: قد تستطيع المرأة أن تحسن اللعب مع أغا كما تحسنه مع المرأة. تعال والعب معي يا سيد.

مرديان: على قدر استطاعتي يا سيدتي.

كليوباترا: عند ما يرغب المرء رغبة صادقة في اللعب و يقصر في النتيجة يكون له العذر. لقد غيرت رأي وليست لدي رغبة في اللعب. على أدوات صيد السمك وسأذهب إلى النهر وستخدع نغمات الموسيقا البعيدة السمك، وينفذ شصي في خياشيمها الرطبة، وكلما سحبت واحدة

منها ظننتها أنطونيو وقلت مرحي! مرحي! لقد اقتنصت:

شرميان: كانت هذه التسلية حسنة عند ما راهنته أن في استطاعتك أن تصيبي صيداً أكثر منه، وعند ما شبك غطاسك سمكة مملحة في شصه وجذبها أنطونيو بحماس وقفز إلى البر.

كليوباترا: في هذه المرة وفي مرات أخرى، لقد أضحكته حتى استلقى على قفاه، وفي ليلة ضحكت منه حتى عيل صبره، وفي الصباح الثاني أفعمته بالشراب حتى اضطر للنوم ثم غطيته بعباءتي وحملت سيفه الذي حارب به في فلباي.

[يدخل رسول]

أقادم أنت من إيطاليا؟ أسرع وأنبئني بما لديك من الأخبار فإني ظللت مدة طويلة بدون أخبار.

الرسول: سيدتي! سيدتي!

كليوباترا: هل مات أنطونيو؟ لو قلت ذلك أيها الشرير فإنك ستقضى على سيدتك، ولكن قل: في صحة جيدة، وطليق أهبك الذهب وأقدم لك أحسن جزء في يدي لتقبله. تلك اليد التي قبلها الملوك من قبل وكانت شفاههم ترتعد عند ذلك.

الرسول: إنه أولاً يا سيدتي سالم.

كليوباترا: لقد استحققت ذهباً أكثر، ولكن لاحظ يا فتى أننا تعودنا أن نقول عن الأموات إنهم سالمون. فإذا كان هذا ما أردت أن تقوله فإن

الذهب الذي كنت سأعطيك سأذيبه وأصبه في حلقات الكريه المقالة.

الرسول: سيدتي النبيلة اصغي إلي.

كليوباترا: هات ما عندك سأنصت، ولكن وجهك لا ينم عن بشائر طيبة، فإذا كان أنطونيو طليقاً في صحة جيدة فإن ملامحك الكئيبة لا تدل على أنباء سارة كهذه، على أنه إذا لم يكن أنطونيو سليماً معافي، يجب عند تبليغك الخبر أن تصبح هيئتك كهيئة جنة سوداء الوجه متوجة بالأفاعي لا كهيئة إنسان عادي.

الرسول: هل تتكرمين بسماعي؟

كليوباترا: يخيل إلي أن أضربك قبل أن تتكلم، ولكن إذا قلت إن أنطونيو حي وإنه في صحة جيدة، وإن علاقاته حسنة مع قيصر أو ليس واقعاً تحت سلطانه فسأغمرك بالذهب، وأنثر عليك اللآلئ الثمينة.

الرسول: سيدتي إنه في عافية.

كليوباترا: كلام حسن.

الرسول: وصار صديقاً لقيصر:

كليوباترا: إنك رجل أمين.

الرسول: ولقد صار هو وقيصر أكثر صداقة من قبل.

كليوباترا: ستكون لك ثروة عظيمة مني.

الرسول: ولكن يا سيدتي.

كليوباترا: إني لا أحب "لكن" لأنها تقلل من قدر الأخبار الطيبة السابقة. تعساً "للكن" لأنها بمثابة سجان يقبض على مجرم عات، أرجوك يا سيدي أن تدلي بكل أخبارك جملة واحدة، طيبة أكانت أم سيئة: إنه تصادق مع قيصر، وإنه في صحة جيدة، وإنه حر طليق.

الرسول: حر! لا يا سيدتي! لم أقل هذا لأنه ارتبط مع أكتافيا.

كليوباترا: ألا ترين يا شرميان أن لوني قد امتقع من هذا الخبر؟

الرسول: سيدتي لقد بني بأكتافيا.

كليوباترا: فلتنزل بك أشد الأمراض فتكاً "تضربه حتى يسقط"

الرسول: أيتها السيدة الطيبة صبراً.

كليوباترا: ماذا تقول؟ أغرب من هنا

[تضربه ثانية]

أيها الشرير البشع سأخرج عينيك، وأقذف بهما أمامي ككرتين وسأنزع شعر رأسك [تحمله ثم تقذف به إلى الأرض] وسأضربك بالسياط المصنوعة من الأسلاك الحديدية وسأقذف بك في الماء الملح وأبقيك تتعذب به مدة طويلة،

الرسول: أيتها السيدة الطيبة ما على الرسول إلا البلاغ، ولم تكن لي يد في هذا الزواج.

كليوباترا: كذب أخبارك أمنحك مقاطعة، وأزد في ثروتك، وإن ضربي لك سيكون مكفراً لما أثرته في من غضب، وسأمنحك فضلاً على

هذا ما تطلبه من الهدايا المعقولة.

الرسول: إنه تزوج يا سيدتي.

كليوباترا: أيها الشرير لقد عشت أطول من اللازم [تستل مدية]

الرسول: لا. إذن سأهرب. وما قصدك يا سيدتي؟ إني لم أرتكب ذنباً.

شرميان: تخلقي بالخلق اللائقة بك فإن الرجل بريء

[يخرج]

كليوباترا: قد لا ينجو بعض الأبرياء من الصاعقة. فلتغمر مصر مياه النيل ولتنقلب كل المخلوقات أفاعي. أدعي الشقي مرة ثانية، وإني لن أوذيه برغم ما بي من الثوران.

شرميان: إيه يخاف المجيء.

كليوباترا: لن أوذيه.

[تخرج شرميان]

لا يليق بهذه اليد أن تضرب شخصاً أقل منزلة مني، وبخاصة أني كنت السبب فيما أصابني.

[تعود شرميان ومعها الرسول]

أقبل يا سيدي. إنه ليس من المستحسن أن تنقل أخبار السوء، ولو أن واجب الأمانة كان يقتضي ذلك. انقل الكثير من الأخبار السارة أما الأنباء السيئة فدعها تتحدث عن نفسها عندما يشعر بوطأتها.

الرسول: لقد قمت بواجبي.

كليوباترا: هل حقاً تزوج؟ لن أكرهك أكثر من قبل لو قلت "نعم" مرة ثانية.

الرسول: لقد تزوج يا سيدتي؟

كليوباترا: عليك لعنة الله ألا زلت مصمماً على أخبارك؟

الرسول: هل لي أن أكذب يا سيدتي؟

كليوباترا: يا ليتك فعلت حتى ولو كان في ذلك غمر نصف مصر بمياه النيل وصيرورتها مأوى للأفاعي والثعابين. أغرب من هنا. ولو كان جمال وجهك فتاناً لأصبح في نظري بشعاً

مرذولاً. أمتزوج هو؟.

الرسول: أعفيني يا سيدتي.

كليوباترا: أمتزوج هو؟

الرسول: لا تغضبي مما لم يقصد به إثارة غضبك وإن عقابك لي على أمر تضطرينني لذكره ظلم، لقد بني بأكتافيا.

الرسول: ما أقبح فعلته التي جعلتك شريراً في نظري مع أنك لست كذلك.. ماذا؟ هل أنت متثبت من ذلك؟ ارحل من هنا. وإني لأرجو أن تثقل البضاعة التي أتيت بها من روما كاهلك وتنوء تحتها وتهلك.

[يخرج الرسول]

شرميان: يا سيدتي الطيبة صبراً!

كليوباترا: إن مدحي أنطونيو كان بمثابة ذم لقيصر.

شرميان: لقد كان ذلك في مرات كثيرة.

كليوباترا: لقد عوقبت من جراء ذلك. هيا بي من هنا. إني أشعر بإغماء يا إراس، يا شرميان، ولكن هذا أمر لا يهم. اذهب إلى الفتى يا ألكسس واطلب إليه أن يصف ملامح أكتافيا وسنها وميولها، ولا تدعه يترك في وصفه لون شعرها، واحضر لإخباري سريعاً [يخرج الكسس] إنه لا يعنيني أن أرى أنطونيو مرة ثانية. لا. هذا غير مستطاع يا شرميان حتى ولو نظر إليه من جهة كأنه وحش مخيف، ومن جهة أخرى كأنه إله الحرب [إلى مرديان] قل لألكسس أن يخبرني عن طول قامتها، أشفقي علي يا شرميان ولا تكلميني، هيا بنا إلى مخدعي.

[يخرجون]

المنظر السادس

بقرب مسينيم

[إعلان بالأبواق، يدخل بمبي. وميناس في جانب ومعهما الطبول والأبواق وفي الجانب الآخر قيصر وأنطوني وليبدس وإنوبربس ومسيناس والجنود سائرة]

بمبي: لقد تبادلنا الرهائن، وسنتكلم قبل أن نتقابل بقواتنا.

قيصر: خير لنا أن نتبادل الآراء، على أننا قد أرسلنا إليك كتاباً برأينا في هذا الأمر والمقاصد التي نتوخاها، وعند تدبرك إياها أخبرنا: أكانت هذه الشروط تجعلك تخمد السيف الذي استللته للثورة علينا، وتعود حينئذ هذه الجنود الشبان الأقوياء إلى صقلية بدلاً من أن يموتوا هنا؟

بمبي: أوجه إليكم كلامي أيها الشيوخ الثلاثة الذين عهد إليهم تدبير هذه الأقطار الشاسعة، فأقول إني لا أعلم لماذا يحتاج والدي لمن ينتقم لموته كما انتقمتم لموت يوليوس قيصر، إذ أني ولده ما زلت على قيد الحياة ومعي أصدقاء يشدون أزرى في ذلك، ومنذ موقعة فلباي حيث أزعج شبح قيصر بروتس رأيتك تحاول أن تنتقم من قاتله، ولعمري ما الذي دعا كسيس. ذا الوجه الممتقع لأن يتآمر عليه؟ وما الذي حدا ببروتس الروماني المحترم الشريف ومعه غيره لأن يثوروا ويتسلحوا لنفس هذا الغرض؟ – أولئك الذين أولعوا شغفاً بالحرية. وما الذي دعا هؤلاء

لإغراق الكبتول بالدم؟ اللهم إذا كان عزمهم إلا أن يكون رجلاً حاكماً فحسب لا مستبداً بشئون الدولة. وهذا هو نفس السبب الذي حملني على إعداد سفني التي تخشاها أمواج البحر المصطحبة لأنتقم لنكران الجميل الذي أظهرته روما لوالدي الشريف.

قيصر: استمر في كلامك بمنتهى الحرية.

أنطوني: لا يمكنك أن ترهبنا يا بمبي بسفنك. فسنقاتلك في البحر، أما في البر فأنت تعلم بأن جيشنا يفوق جيشك عدداً

بمبي: في البر لا شك، لأنك اغتصبت منزل والدي فما أشبهك بالوقوق الذي لا يبني لنفسه عشاً وإنما يغتصب عش العصافير الأخرى. فلتبق في هذا المنزل.

ليبدس: أرجو أن تغض الطرف عن الماضي، وتخبرنا عن العرض الذي قدمناه لك.

قيصر: هذا هو الموضوع.

أنطوني: ونحن لا نلح عليك في قبوله، بل يجب عليك النظر إلى ما فيه صالحك.

قيصر: فلربما ترى أن ما تحصل عليه أعظم مما لو ناوأتنا.

بمبي: لقد عرضتم على صقلية وسردينيا على أن أطهر البحار من القرصان وأن أرسل مئونة من القمح إلى روما، وأنه إذا قبلت ذلك يسحب كل منا جيوشه بدون حرب ونرجع بأسلحتنا بدون أن تقطر دماً.

قيصر: وأنطوني وليبدس: هذه هي شروطنا.

بمبي: اعلموا إذن أني قدمت إلى هنا مستعداً لقبول هذا العرض ولكن مارك أنطوني أثار غضبي كثيراً، وإني سأقص عليكم حادثة، مع أني ربما خسرت بذكرها المدح الذي أستحقه بسببها: وذلك أنه عند ما تقاتل قيصر وأخوك فرت والدتك إلى صقلية فأكرمت وفادتها هناك.

أنطوني: لقد سمعت بذلك يا بمبي وإني على استعداد لشكرك دائماً على هذا الدين الذي لك في عنقي.

بمبي: هات يدك وإني لم أكن أفكر في أني سألقاك هنا.

انطوني: إن فراش الشرق وثير، وإني أشكر ظروف الثورة التي أحضرتني هنا أسرع مما كنت معتزماً إذ كسبت خيراً.

قيصر: لقد تغيرت عما رأيتك آخر مرة.

بمبي: لا أدري ماذا فعلته الطبيعة القاسية بوجهي ولكنها لا تستطيع أن تخترق قلبي حتى تجعل شجاعتي أسيراً لها.

ليبديس: مرحبا بك هنا.

بمبي: أرجو ذلك يا ليبيدس، اتفقنا وأطلب أن يكتب الاتفاق حتى نختمه بأختامنا.

قيصر: هذا هو الشيء التالي الواجب عمله.

بمبي: سنتبادل الولائم قبل الرحيل. فهيا نقترع على ترتيبها.

أنطوني: أوافق على ذلك يا بمبي.

بمبي: فليبدأ أنطوني بأخذ قرعته، وسواء أكانت الأولى أم الأخيرة فإنه سيكون "للطهي" المصري نصيبه من المدح الذي يستحقه، إذ قد سمعت أن يوليوس قيصر أصابه السمن من هذا الغذاء المريء.

أنطوني: لقد غاليت فيما سمعته.

بمبي: إن قصدي حسن يا سيدي.

أنطوني: ولقد أفصحت عنه بكلمات حسنة.

بمبي: لقد سمعت هذا وسمعت أن أبو لودوروس حمل...

إنوبريس: لا تذكر أكثر من ذلك فإنه فعل ذلك.

بمبي: ما الذي حمله من فضلك؟

إنوبريس: حمل ملكة في حشية إلى قيصر.

قيصر: لقد عرفتك الآن كيف حالك أيها الجندي؟

إنوبريس: بخير ويحتمل أن أظل في عافية لأني أرتقب ثلاث ولائم مقبلة.

بمبي: اسمح لي أن أصافحك ولم أكرهك قط، ولقد رأيتك تحارب وحسدتك على سلوكك.

إنوبريس: سيدي لم أحبك قط كثيراً ولكني مدحتك على أفعالك التي كانت تستحق عشرة أضعاف مدحي لها.

بمبي: تمتع بصراحتك فإنها تلائمك من كل الوجوه أنتم ضيوفي في سفينتي فهيا تقدموا أيها السادة.

قيصر: وأنطوني وليبيدس؛ تقدموا أيها السادة.

بمبي: هيا "يخرج الجميع ما عدا ميناس وإنوبربس"

ميناس: "لنفسه" والدك يا بمبي لم يكن ليعقد مثل هذه المعاهدة.

"إلى إنوبريس" لقد تقابلنا يا سيدي.

إنوبريس: في البحر على ما أذكر.

ميناس: نعم يا سيدي.

إنوبريس: لقد حاربت بشجاعة في البحر.

ميناس: وأنت في البر كذلك.

إنوبريس: إن من عادتي أن أمدح أي رجل يمدحني، ولو أن جهدي وشجاعتي في البر لا تنكر.

ميناس: كذلك الحال فيا عملته أنا في البحر.

إنوبريس: نعم ولكن هناك شيئاً تستطيع أن تنكره حرصاً على سلامتك وذلك أنك كنت لصاً في البحر.

ميناس: ولقد كنت كذلك في البر.

إنوبريس: وعند هذا أنكر أعمالي البرية، ولو أن لأعيننا سلطة لاستطاعت أن تقبض على لصين أصبحا صديقين حميمين.

ميناس: كل وجوه الرجال صريحة مهما اقترفت أيديهم.

إنوبريس: لكن ليس هناك امرأة لها وجه صريح مهما تكن ملامحها حسنة.

ميناس: ليس هذا من قبيل التشنيع فإنهن يستعبدن القلوب.

إنوبريس: لقد جئنا هنا لنحاربكم.

ميناس: أما من جهتي فإني آسف لأن المسألة انتهت إلى تناول الشراب وأن بمبي يضيع الفرصة التي سنحت له وذلك بعقده الصلح مع الحكومة الثلاثية.

إنوبريس: أما وقد فعل فلا يليق به أن يحزن مرة ثانية من أجل فوات هذه الفرصة.

ميناس: صحيح ما ذكرت يا سيدي ولم نكن ننتظر مارك أنطوني هنا. هل لك أن تخبرني أتزوج كليوباترا؟

إنوبريس: أخت قيصر تدعى أكتافيا

ميناس: حقاً سيدي إنها كانت زوجة كسيس مرسلس

إنوبريس: ولكنها الآن زوجة مارك أنطونيس.

ميناس: أستمحيك عذراً لأني لم أفهمك.

إنوبريس: هذا حقيقي.

ميناس: معنى هذا أنه وقيصر قد ارتبطا إلى الأبد.

إنوبريس: لو طلب إلى أن أتنبأ بهذا الارتباط لعجزت.

ميناس: أظن أن هذا الارتباط روعي فيه الظروف السياسية لا الحب المتبادل بين الفريقين. إنوبريس: وهذا هو رأيي أنا أيضاً. ولكن ستجد أن الرباط الذي جمع شملهما في الظاهر ووثق عرا الصداقة بينهما سيكون نفسه معول هذه الصداقة وعاملاً على هدمها، إن أكتافيا امرأة عفيفة رزينة وهادئة الأخلاق.

ميناس: من لا يتمنى أن تكون امرأته على هذه الصفات؟

إنوبريس: هو ذلك المرء الذي لا يتصف بهذه الصفات وهذا هو مارك أنطوني لأنه سيعود إلى معشوقته المصرية ثانية، عندئذ تشعل تنهدات أكتافيا النار في صدر قيصر وكما قلت لك من قبل ما كان سبباً في قوة صداقتهما سيكون السبب المباشر في شقاقهما، وسيحاول أنطونيو الحصول على مشتهاه من الحب حيث يجده؛ إذ تزوج هنا للمقتضيات السياسية.

ميناس: ربما تكون الحال هكذا. هيا بنا إلى سطح المركب لأشرب نخبك.

إنوبريس: أقبل ذلك منك، ولقاء تعودنا الشراب بمصر.

ميناس: هيا بنا نذهب.

[يخرجون]

المنظر السابع

"على سطح سفينة بمبي بالقرب من شاطئ مسنيم"

[الموسيقا تعزف: يدخل خادمان أو ثلاثة حاملون أصناف المأكولات]

الخادم الأول: سيحضرون هنا وأقدام بعضهم غير مستقرة، وستقذف بهم أهدأ الرياح إلى الأرض.

الخادم الثاني: إن وجه ليبدس محمر.

الخادم الأول: لقد ناولوه خمراً كثيراً ولم يك منه نصيباً للفقراء

الخادم الثاني: عند ما يدفع بعضهم بعضاً للشراب يصيح ليبدس "كفى" ويبدأ يدعي أنه تناول كل طاقته ومع ذلك يجد من نفسه الرغبة في المزيد حتى يرى كل منهم الآخر ثملاً.

الخادم الأول: ولكن هذا الاندفاع في تناول الخمر يثير حرباً شعواء بين نفسه وحزمه.

الخادم الثاني: وهذا نتيجة من يكون طموحاً لأن يعرف عنه أنه يصاحب العظماء، وخير لي أن تكون على قصبة لا فائدة لي منها من بلطة حرب لا أستطيع دفعها.

الخادم الأول: إن مثل من يطلب إليه شغل مركز عال "مثل مركز

ليبدس في الحكومة الثلاثية" ويكون غير مستطيع النهوض بأعبائه كمثل حجاج العين الخالية من المقلة فإن منظرها يكون بشعاً يذهب بجمال الوجه.

[ترنيم من الأبواق – يدخل قيصر وأنطوني والليبدس وبمبى وأجربا وميسناس وإنوبريس ومِيناس ومعهم ضباط آخرون]

أنطوني: (إلى قيصر) هذا هو شأنهم يا سيدي إنهم يقيسون ارتفاع النيل بمقاييس في الهرم ويقدرون حال الجدب والخصب بحسب ارتفاع النهر وانخفاضه، وكلما ارتفع النيل زاد النماء. وعند انحسار ماء النهر يبذر الزارع حبوبه ثم بعد وقت قصير يحصده.

ليبدس: هل عندكم أفاع غريبة؟

أنطوني: نعم يا ليبدس.

ليبدس: الثعابين المصرية تتولد من الطمي بتأثير الشمس، وهذا هو شأن التماسيح أيضاً؟ أنطوني: نعم هذه هي الحال.

بمبي: اجلسوا لنحتسي بعض الخمر، اشربوا في صحة ليبدس.

ليبدس: ليست صحتي على ما يرام ومع ذلك لن أمتنع عن شرب ونخب صحتي.

أنوبريس: لن تمتنع عن الشراب حتى تذهب إلى فراشك وحتى هذا الوقت ستظل تشرب. ليبدس: لقد سمعت بحق أن أهرام بلاد البطالسة أشياء فخمة، ولم أجد من يخالف هذا.

ميناس: "إلى بمبي همساً" كلمة يا بمبي

بمبي: "إلى ميناس همساً" قلها في أذني ما هي؟ "إلى منى على انفراد" أرجوك أن تبرح مكانك لتسمع مني كلمة

بمبي: "إلى ميناس على انفراد" سأنصت لك بعد لحظة. هذه

الخمر هي لإكرام ليبدس

ليبدس: ما شكل هذا الحيوان الذي يسمونه التمساح؟

أنطوني: له شكل خاص به، فإنه عريض قدر عرضه وطويل قادر طوله ويسير بأعضاء جسمه، ويعيش مما يتغذى به وعنده ما تنقطع أنفاسه يتحول إلى مخلوق آخر.

ليبدس: ما لونه؟

أنطوني: لونه خاص به أيضاً.

ليبدس: إنه ثعبان غريب.

قيصر: هل يكتفي بهذا الوصف؟

أنطوني: إذا لم يرق له هذا الوصف، ولم يكتف به، فإنه على كل حال سيكتفي بالخمر التي جعله أنطوني يشربها في صحته.

بمبي: "إلى ميناس على انفراد" يا لهوانك! هل تضايقي بهذا الموضوع؟ اذهب وافعل كما أمرتك. أين الكأس التي طلبتها؟

ميناس: "إلى بمبي على انفراد" هل لك أن تنصت إلي؟ إخلاصاً مني

في خدمتك قم من مقعدك.

بمبي: "إلى ميناس على انفراد" أظن أنك مجنون فما الخبر؟ "يقوم ويسير إلى ميناس".

ميناس: لقد كنت من تابعيك المخلصين دائماً.

بمبي: لقد خدمتني بأمانة عظيمة فهات ما عندك غير ذلك. استمروا في مرحكم أيها السادة مادة غيابي لحظة.

أنطوني: ابتعد عن الحمر يا ليبدس وإلا صرت سكران لا تعي.

ميناس: هل تريد أن تكون سيد العالم؟

بمبي: ماذا تقول؟

ميناس: هل تريد أن تكون سيد العالم ؟ وإني أقول ذلك للمرة الثانية.

بمبي: ولكن كيف يكون ذلك مستطاعاً؟

ميناس: ما عليك إلا أن تقبل الفكرة وعلى أنا، مع أنك تظنني فقيراً أن أمنحك كل العالم.

بمبي: هل أسرفت في الشراب؟

ميناس: لا يا بمبي، لقد تجنبت الكأس وأقول إنك لو عزمت لكنت سيد الأرض، كما أن المشترى سيد السماء، ستكون سيد جميع الأرض التي تجف شواطئها البحار، أو تظلها السماء ستكون هذه تحت سلطانك إذا أردت.

بمبي: وكيف الوصول إلى ذلك؟

ميناس: هؤلاء الحكام الثلاثة الذين ينافسونك هم الآن في سفينتك فاسمح لي أن أقطع سلاسل المرساة، وعند ما تكون في عرض البحر أقطع رقابهم وعند ذلك يصير الملك جميعه إليك.

بمبي: كان يجدر بك عمل هذا بدون أن تكلمني في شأنه، فإني لو عملته أنا لكان خيانة، وأما لو عملته أنت فإنه يكون خدمة طيبة إذ يجب أن تعلم أن شرفي لا تسوقه مصالحي ولكن مصالحي هي التي يجب أن تكون مطابقة لما يمليه على شرفي. فاندم على حمقك، بأن تتكلم على عمل بدلاً من أن تفعله، على أنه لو تم هذا العمل بدون علمي لمدحت فعلتك فيما بعد، وأما الآن فإني أرفض الرأي فأعرض عنه واشرب.

ميناس: "منفرداً" من أجل هذا لن أتبع حظك الذي أخذ في الأفول ومن يجد في الطلب ولا يقتنص الفرص عنده ما تسنح له باء بالخسران لأن الفرص تمر مر السحاب وقد لا تواتيه مرة أخرى.

بمبي: هذه الكاس في صحة ليبدس.

أنطوني: احملوه إلى الشاطئ وسأشربها بالنيابة عنه يا بمبي.

إنوبريس: في صحتك يا ميناس.

ميناس: مرحباً يا إنوبريس.

بمبي: املأ الكأس حتى الحافة.

إنوبريس: "يشير إلى الخادم الذي حمل ليپاس " هاك فتي قوياً يا ميناس.

ميناس: لماذا؟

إنوبريس: إنه يحمل ثلث العالم هل فهمت؟

ميناس: ثلث العالم إذن مخمور، يا ليته كله مخمور فنسير سيراً هادئاً مطمئناً

إنوبريس: اشرب أنت كي تساعدني على زيادة هدوئه.

ميناس: كفى

بمبي: هذه الوليمة لا شيء بالنسبة إلى الولائم التي تعودتموها في الإسكندرية.

أنطوني: إنها تنحو نحوها بسرعة، افتحوا البراميل، أشرب في صحة قيصر.

قيصر: خير لي أن أمتنع الآن، إذ من الصعب صقل العقل عنده ما يكثر المرء من تدنيسه.

أنطوني: اجعل نفسك في وئام مع الظروف

قيصر: إني أجيبك بأنه يجب علي أن أتحكم في الظروف وخير لي أن أصوم أربعة أيام عن تناول الخمر، من أن أتناول مقداراً كبيراً كهذا في يوم واحد.

إنوبريس: عجباً سيدي الإمبراطور الشجاع "إلى أنطوني" هل نرقص رقصة السكارى المصريين، ونحتفل بمجلس شرابنا؟

بمبي: علينا بها أيها الجندي الطيب.

أنطوني: هيا نمسك بأيدينا بعضنا ببعض تغمرنا الخمرة المتسلطة علينا في النسيان الوديع.

إنوبريس: فليمسك كل منكم بيد الآخر، اعزفوا بالموسيقا عزفاً عالياً حتى أنظمكم ثم يغني الفتى ويردد كل منكم المذهب بأعلى صوته.

[تعزف الموسيقى – إنوبريس ينظمهم بوضع يد كل واحد في يد الآخر]

الأغنية(٥)

ملـــــك الخمــــــور إلههــــا   مـــن لـــون عينيـــه الخمـــوه
تـــــوج بأعنــــاب الكــــرو   م رؤوســـنا تحـــل الأمـــور
وهمومنـــــــا بحياضـــــــها   غـــرق يـــتم لنـــا الســـرور
وامـــــلأ بخمـــــرك جوفنـــا   حتـــى نـــرى الـــدنيا تمـــور
مـــن لـــم يـــذق خمـــراً فقـــد   فقـــد اللباقـــة والشـــعور
فـــالخمر والخمـــر المنـــى   نشـــدو بهـــا أبـــد الـــدهور

قيصر: ما الذي تريدونه أكثر من أذلك ؟ سعدت مساء يا بمبي أخي الطيب، أرجوك أن تترك السفينة وتذهب معي إلى الشاطئ، لأن هذا الطيش يحط من قدر المهمة التي نحن بصددها. أسيادي النبلاء هيا نفترق إذ أنتم ترون أن خدودنا احترقت، وإنوبريس على ما به من القوة قد قهرته الخمر، وقد ثملت حتى صار لساني يتلعثم عند النطق، وإن

(٥) النظم للأستاذ حسن الجافي مدرس أول اللغة العربية بمدرسة الأميرة فوقية الثانوية.

عربدة الحمر هذه التي تسربلناها جعلتنا في مصاف المهرجين المضحكين، وليس هناك فائدة في أن أقول أكثر مما قلت، طاب مساءك يا أنطوني الشريف هات يدك.

بمبي: سأتذوق وليمتك في البر.

أنطوني: وهو كذلك يا سيدي هات يدك.

بمبي: يا أنطونيو لقد استوليت على منزل والدي، ولكن دعك من هذا، فإننا أصبحنا أصدقاء، هيا انزل إلى الأرض.

إنوبريس: احترسا لئلا تسقطا في البحر.

[يخرج الجميع ما عدا إنوبريس وميناس]

يا ميناس لن أذهب إلى البر.

ميناس: لا. هيا بنا إلى قمرتي ماذا؛ أين الطبول والأبواق والمزمار؟ فليسمع أله البحر أننا ودعنا هؤلاء العظماء بنغمات مرتفعة، اضربوا تعساً لكم، اضربوا.

"صوت أبواق وطبول"

إنوبريس: هو! هاك قبعتي (يرميها في الهواء)

ميناس: هو! هيا أيها الضابط الشريف.

[يخرجون]

الفصل الثالث

المنظر الأول

سهل في سوريا

[يدخل فنتنديس وعليه أمارات النصر، ومعه سيلس الرومانيين وجنود وأمامه جثة بكورس محمولة]

فنتديس: أيها الشجاع البارثي لقد أصبت، ولقد كان من حظي أن أثار لموت مركس كراسس. احملوا ولد الملك أمام جيشنا، ولقد تقاضينا من بكورس ووالده أدروس هذا الدين من أجل ماركس كراسس.

سيليس: أيها الشريف فنتاسيس اقتف أثر هؤلاء البارثيين الفارين وسيفك مخضب بالدماء، والحق بهم في ميديا ومسبتوميا[٦] وكل المخابئ التي يلجأ إليها الفارون والمنهزمون حتى يعلو شأنك في نظر قائدك أنطونيو، ويأمر بحملك على مركبة حربية، ويضع الأكاليل على رأسك..

فنتديس: يا سيلس! يا سيلس. لقد عملت ما فيه الكفاية، واعلم علم اليقين أن المركز المتواضع قد يكون مدعاة للمغالاة في تقدير عمل المرء واحفظ عني يا سيلس: أن من الخير ألا يعمل المرء عملاً ويكتسب من ورائه شهرة طائلة طالما كان رئيسه غائباً؛ فلقد اكتسب قيصر وأنطونيو الشهرة من جراء أعمال ضباطهما أكثر من أعمالهما هما بنفسيهما، وإن سوسيس أحد الضباط الذي كان يشغل نفس المركز الذي

(٦) سهل ما بين النهرين (دجلة والفرات)

أشغله الآن بسوريا خسر مكانته عنده بسبب أعماله التي أكسبته شهرة عظيمة، ومن يستبسل في الحرب أكثر من قائده يصبح قائداً لقائده، والطموح وهو فضيلة الجندي يجعله يفضل الخسارة على المكسب الذي يضر به، وإن في استطاعتي أن أبذل لصالح أنطونيو أكثر مما بذلت ولكن ذلك يسوئه، وفي هذا القضاء على أعمالي ونكرانها.

سيليس: إن بك من النباهة التي بدونها لا يكون فرق بين الجندي وسيفه. هل ستخبر أنطونيو؟

فنتديس: سأكتب له بكل تواضع وأخبره بأننا باسمه الذي يبعث الرعب في القلوب، ذلك الاسم الذي يعمل السحر في الحرب قد انتصرنا، وأؤكد له أن أعلامة التي كنا نحلها وجنوده ذوي المرتبات الوفيرة الذين كنا نقودهم – كل أولئك كانوا السبب في غلبة أهل بارثيا، واستئصال شأفتهم في ميدان القتال.

سيليس: أين هو الآن؟

فنتديس: لقاء وصل إلى أثينا، ويجب أن نقدم أنفسنا له هناك بأقصى سرعة مستطاعه، وذلك لما نحمله من الأنباء الهامة، هيا بنا إلى هناك.

[يخرجون]

المنظر الثاني

روما - حجرة انتظار في قصر قيصر

[يدخل أجربا من باب وإنوبربس من الباب الآخر]

أجربا: هل رحل الأصهار؟

إنوبربس: لقد رحلوا مع بمبي، أما الثلاثة الآخرون فإنهم يختمون بأختامهم على عقد الاتفاق، ولقد كانت أكتافيا تبكي لفراق روما، وقيصر مكتئب؟ أما ليبدس فمنذ وليمة بمبي على حد قول ميناس أصيب بفقر الدم.

أجربا: إن ليبدس رجل شريف.

إنوبربس: إنه عظيم في رقة عواطفه، وما أعظم حبه لقيصر.

أجربا: ولكن ما أعظم احترامه وإخلاصه لمارك أنطوني!

إنوبربس: قيصر؟ إنه كما يقول ليبدس إله الرجال.

أجربا: وما أنطوني إلا إله الآلهة.

إنوبربس: هل تتكلمون عن قيصر؟ لعمري إنه الرجل الذي لا يضارع

أجربا: ما أعجبك يا أنطونيو! إنك كالعنقاء التي تقول العرب باستحالة وجودها.

إنوبربس: إذا أردت أن تمدح قيصر فقل "قيصر" وكفى.

أجربا: لقد بذل ليبدس ما وسعه جهده في مدحهما مدحاً فائقاً.

إنوبربس: ولكنه يحب قيصر أكثر، على أنه يحب أنطوني فوق تصور العقل، ولا تستطيع الألسنة أن تنطق بهذا الحب ولا الصور أن تمثله، ولا الكتاب أن يشرحوه ولا المنشدون أن يتغنوا به، ولا الشعراء أن ينظموا القصائد فيه. أما حبه لقيصر فهو الخضوع ثم الخضوع والإعجاب.

أجربا: إنه يحب الاثنين.

إنوبربس: إنهما جناحاه اللذان بهما يطير بوصفه خنفساء بليدة.

[تنغيم من الأبواق في الداخل] حسن جداً، هذا أذان بالركوب والسفر، وداعاً يا أجربا الشريف.

أجربا: أتمنى لك حظاً سعيداً أيها الجندي الباسل، وداعاً.

[يدخل قيصر وأنطوني وليبدس وأكتافيا]

أنطوني: لا تتعب بأن تصاحبني أكثر من ذلك.

قيصر: لقد أخذت جزءاً عظيماً من نفسي فاظهر احترامك لي بحبها، أما أنت يا أختي فبرهني على أنك الزوجة الصالحة التي أردتها، وأنك كفيلة بأن تبري بالعهود التي قطعتها بأنك كذلك، ويا أنطونيو يا أنبل الناس لا تجعل هذه الفضيلة التي كانت دعامة حبنا وقوته معول هدمه، فلربما كان من الخير أن نتحاب بدون هذه الوسيلة إذا لم يقدر كلانا هذا الرباط قدره.

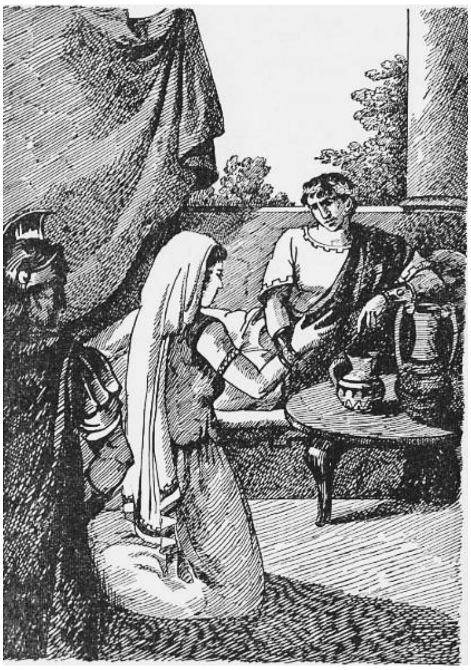
أنطوني: لا تكدرني بأن يخامرك الشك في حبي لها.

قيصر: لقد قلت ما فيه الكفاية.

أنطوني: مهما كان قلقك من هذه الجهة فإنك لن تجد مبرراً لظنونك به وأرجو أن تكلأك العناية الإلهية وتجعل قلوب الرومانيين مخلصة في خدمة أغراضك وسنفترق هنا.

قيصر: [إلى أكتافيا] وداعاً يا أعز الأخوات وداعاً، وأرجو أن تيسر لك الأحوال الجوية رحلتك، وأن تكون هذه الرحلة موفقة مريحة، وداعاً.

أكتافيا: يا أخي النبيل.



قيصر: إن الدموع تكاد تدفق من عينيها كالطل في شهر إبريل. إنه حب الربيع وهذه الأمطار تنزل عليه كي يترعرع و يجود. كوني مرحة.

أكتافيا: اعتن بشأن منزل زوجي. و...

قيصر: ماذا يا أكتافيا؟

أكتافيا: سأسر لك في أذنك.

أنطوني: إن لسانها لا يطاوعها، على الإفضاء بشعور قلبها وقلبها مفعم حتى لا تستطيع الإفضاء بإحساسه إلى اللسان، وتأثرها بسبب ترك أخيها مثله كمثل زغب ريش البط يقف ساكناً عنده ما يكون المدّ عالياً ولا يميل إلى جهة ما.

إنوبربس: [على انفراد مع أجربا] هل سيبكي قيصر؟

أجربا: [على انفراد مع إنوبربس] لقد بدرت علامة الكآبة على وجهه.

أنوبربس: [على انفراد مع أجربا] إن هذه العلامة تؤثر تأثيراً سيئاً في وجهه.

أجربا: [على انفراد مع إنوبربس] يا إنوبربس عنده ما وجد أنطوني يوليوس قيصر ميتاً بكى حتى علا صوته وأصبح زئيراً، وبكى أيضاً عند ما وجد بروتس مقتولاً في فيلپاي.

إنوبربس: [على انفراد مع أجربا] لقد أعتاد أن يبكي كثيراً هذا العام حتى إن من كان يقتله عامداً متعمداً يعود فينتحب من أجله، وصدقني أن ذلك أثر في حتى بكيت أنا أيضاً.

قيصر: لا يا عزيزتي اكتافيا، سأكتب إليك وسأفكر فيك ما دمت حياً.

أنطوني: مهلاً سيدي مهلاً، سنتبارى لمعرفة أقوانا في الحب وهأنذا أعانقك ثم أتركك وأطلب إلى الآلهة أن ترعاك.

قيصر: وداعاً، وداعاً "يقبل أكتافيا"

أنطواني: وداعاً "تنغيم من الأبواق"

[يخرجون]

المنظر الثالث

الإسكندرية. قصر كليو بطرة

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس وألكسس]

كليوباترا: أين ذلك الفتى؟

ألكسس: إنه يخشى الحضور.

كليوباترا: كلام هراء. كلام هراء.

[يدخل الرسول]

تعال هنا يا فتى.

ألكسس: يا صاحبة الجلالة، إن هرد ملك اليهود مع فظاظته وغلظة قلبه لا يستطيع النظر إلى وجهك إلا إذا كنت جمة السرور كليوباترا: يجب أن أستولى على رأس هذا الظالم، ولكن من لي بمن يحصل عليه ما دام أنطوني قد رحل. (إلى الرسول) هيا اقترب.

الرسول: يا صاحبة الجلالة العظيمة...

كليوباترا: هل نظرت أكتافيا؟

الرسول: نعم أيتها الملكة المهيبة.

كليوباترا: أين؟

الرسول: في روما يا سيدتي. ولقد تأملت وجهها ورأيتها سائرة بين أخيها ومارك أنطوني

كليوباترا: هل يتساوى طول قامتها وقامتي؟

الرسول: لا يا سيدتي.

كليوباترا: هل سمعتها تتكلم؟ أجهورية الصوت هي أم منخفضته؟

الرسول: سمعتها يا سيدتي تتكلم بصوت خافت.

كليوباترا: ليس هذا محموداً، وإنه لن يستطيع حبها طويلاً.

شرميان: يحبها؟ بحق إيزيس إن هذا مستحيل.

كليوباترا: هذا هو رأيي يا شرميان: غير طلقة اللسان وقصيرة القامة هل تتبختر في مشيتها؟ أخبرني إن استطعت شيئاً عن هذا.

الرسول: إنها تسير وئيداً، وسيان مشيتها ووقوفها ويخيل إلى أنها صنم بدون روح وتمثال بدون حياة.

كليوباترا: هل أنت واثق من هذا؟

الرسول: نعم، اللهم إلا إذا كنت فقدت قوة الملاحظة.

شرميان: لن تجدي في مصر ثلاثة عندهم قوته في الملاحظة.

كليوباترا: إنه نبيه كما رأيت. وليس فيها شيء حسن. والفتى له قوة حكم جيدة.

شرميان: شيء جميل.

كليوباترا: كم سنها فيما تظن؟

الرسول: إنها كانت أرملة يا سيدتي.

كليوباترا: أرملة يا شرميان، هذا شيء حسن.

الرسول: وأظن أنها بلغت الثلاثين.

كليوباترا: هل تذكر وجهها: أطويل أهو أم مستدير؟

الرسول: مستدير يكاد يصل درجة التشويه.

كليوباترا: أغلب من كن على هذه الصورة حمقاوات بصفة عامة. وما لون شعرها؟

الرسول: أسمر يا سيدتي وجبهتها ضيقة إلى أقصى حد.

كليوباترا: هاك ذهباً لك. ويجب أن تغض الطرف عن سوء معاملتي السابقة لك. سأستخدمك وستعود ومعك كتب مني إلى أنطونيو؛ إذ أنك تصلح لذلك، فاذهب واستعد للسفر وخطاباتنا جاهزة

[يخرج الرسول]

شرميان: إنه رجل حسن المنظر.

كليوباترا: إنه لكذلك وإني نادمة كثيراً على سوء معاملتي له. وأظن أن هذه المخلوقة بحسب وصفه لها لا تساوي شيئاً كثيراً.

شرميان: لا يا سيدتي

كليوباترا: لقد رأى الرجل بعض أهل العظمة ويستطيع الحكم.

شرميان: هل ذلك حق؟ نعم أظن ذلك وبخاصة أنه ظل في خدمتك مدة.

كليوباترا: لدي شيء آخر أريد أن أسأله عنه يا شرميان ولكن ليس من الأهمية بمكان. أحضريه لي في مكتبي؟ وإني لأرجو أن تستقيم الأمور.

شرميان: لا شك في ذلك يا سيدتي.

[تخرجان]

المنظر الرابع

أتينا - حجرة في منزل أنطوني

[يدخل أنطوني وأكتافيا]

أنطوني: لا، لا، يا أكتافيا ليس هذا فحسب لأنه كان يمكن التغاضي عنه، ولكنه هذا وألف شيء من أشباهه: فلقد أعلن الحرب على بمبي مخالفاً بذلك الاتفاق الذي عقدناه فيما بيننا. وعمل وصية وقرأها على الشعب ليستميله إلى جانبه. ولقد تكلم عنى بازدراء عندما كانت الظروف تضطره لمدحي وقد فعل ذلك بطريقة مزرية كأن إنصافي مما يضايقه، وعند ما كانت تسنح له الفرصة بمدحي يرفض انتهازها، أو ينتهزها بهمة فاترة، ولم يكن عمله هذا إلا رياء فلم يكن صادراً من قلبه.

أكتافيا: يا سيدي الطيب لا تصدق كل هذا، وإذا صدقته فلا تجعله يثيرك، وليست هناك سيدة أكثر تعساً مني إذا نشب الخلاف بينكما، إني سيدة تصلي من أجل نجاحكما وستسخر الآلهة مني إذا دعوت النجاح سيدي وزوجي، ثم أنكرت دعائي هذا وطلبت بنفس الصوت المرتفع نجاح أخي؛ لأن هذا معناه أني أدعو ثم أسرع فألغي الدعاء. وليس هناك وسط بين هذين المتناقضين.

أنطوني: ذرى حبك يرشدك إلى أحسن من يستطيع المحافظة عليه، أي إلى من هو شريف. ففكري في شرفي قبل كل شيء، وأجعلي حبك

منقاداً لهذا الاعتبار؛ فإني إن فقدت شرفي فقدت نفسي، وخير لي ألا أكون لك من أن أكون لك خالياً من كل ما هو جدير بي، ولكن سألبي طلبك، فاذهبي وتوسطي بيننا، وفي هذه الآونة سأعد العدة للحرب التي ستقضي على أخيك، أسرعي ما استطعت وهأنذا قد أجبت رغبتك.

أكتافيا: أشكرك يا سيدي، وليمدني الإله العظيم بقوة تجعلني قادرة على عقد الصلح، فإن الحرب بينكما تكون حرباً هوجاء تتصدع لها أركان العالم، ولا يمكن أن يتصور إنسان مقدار الدم الذي سيهدر في هذه الحرب الطاحنة.

أنطونيو: عند ما يظهر لك من منا البادئ في الخطأ وجهي إليه مقتك؛ فإنه لا بد أن واحداً منا كان أكثر خطأ من الآخر، ولذلك لا تستطيعين حب الاثنين بدرجة واحدة.

نظمي رحلتك، واختاري أتباعك، واطلبي ما تشائين من المال.

[يخرجون]

المنظر الخامس

أثينا - حجرة أخرى في منزل أنطونيو

[يدخل إنوبربس وإروس متقابلين]

إنوبربس: كيف الحال يا صديقي إروس؟

إروس: لقد وصلت أخبار غريبة يا سيدي.

إنوبربس: ما هي يا رجل؟

إروس: لقد أعلن قيصر وليبدس الحرب على بمبي.

إنوبربس: هذه أخبار قديمة وما النتيجة؟

إروس: إن قيصر بعد أن استخدم ليبدس في الحرب على بمبي أبي عليه مشاركته في نتيجة الانتصار، ورفض أن يكون له نصيب في العمل الباهر، وليت الحال اقتصر على ذلك؛ فإنه اتهمه بكتابة خطابات إلى بمبي وقبض عليه من جراء هذه التهمة التي حكم فيها بنفسه، وهكذا قبض على ثالث الثلاثة ولن يفرج عنه إلا بالموت.

إنوبربس: ومعنى هذا بلغة صريحة أن قيصر وأنطوني اقتسما العالم، وليس هناك ما يحول دون مقاتلتهما بعضهما لبعض حتى يهلك أحدهما. وأين أنطوني؟

إروس: إنه يسير ثائراً في الحديقة وغضبه يجعله يركل كل شيء في

طريقه مهما كان ضئيلاً ويصيح: ما أحمقك يا لبيدس!

ويتوعد بأن يقتل ضابطه الذي قتل بمبي.

إنوبربس: إن أسطولنا العظيم متأهب، ووجهته إيطاليا لمقابلة قيصر وقد جئت لأخبرك يا دمتس بأن أنطونيو يريد مقابلتك حالاً. وكان الواجب أن أقول ذلك أولاً، وأتجاوز عن الأخبار إلى ما بعد.

إنوبربس: ليس لديه أي شيء هام ينبئني به، ولكن على أي حال قدني إليه.

إروس: هيا يا سيدي

[يخرجون]

المنظر السادس

روما - منزل قيصر

[يدخل قيصر وأجربا ومسيناس]

قيصر: إظهاراً لاحتقارنا قد فعل كل هذا وأكثر منه بالإسكندرية، وسأقص عليكم نموذجاً من سلوكه: ففي ميدان السوق العام نصبت له منصة مغطاة بالفضة. وجلس فوقها مع كليوباترا على عرش من الذهب. وهناك توجا على مرأى من عامة الشعب، وجلس تحت أقدامها قيصرون الذي يدعون أنه ابن والدي، وكذلك جلس كل الذراري غير الشرعيين الذي نبتوا من اتصالاتهما. وقد منحها حكم إقليم مصر، وجعلها ملكة مطلقة التصرف في شئون سوريا الدنيا، وقبرص وليديا.

مسيناس: وهل كان هذا على مرأى من الشعب؟

قيصر: نعم، وفي ميدان التدريب الرياضي، وهناك أعلن أولاده ملوك الملوك: فأعطى الإسكندر ميديا العظيمة وبرثيا وأرمينيا، ومنح بطليموس سوريا وقليقية وفينقية. وقد ظهرت الملكة في هذا اليوم مرتدية زى الآلهة إيزيس، وكثيراً ما تسربلت هكذا كما يزعمون عند تشرف الناس بمقابلتها لتقديم الظلامات والتقارير والرسائل السياسية... إلخ.

مسيناس: فلتخطر روما بهذا.

أجربا: وسيغير أهل روما رأيهم الحسن فيه، لأنهم سيضيقون ذرعاً بكبريائه وغطرسته.

قيصر: يعرف أهل روما من أمره كل شيء، وأمامهم الآن التهم الموجهة منه.

أجربا: من يتهم؟

قيصر: قيصر: وذلك أننا في صقلية اغتصبنا حق بمبي ولم نمنحه جزءاً من الجزيرة. ثم يقول إنه أعارني بعض السفن ولم أردها، وأخيراً يشكو مر الشكوى من عزل ليبيدس أحد أفراد الحكومة الثلاثية، وبذلك استولينا على كل إيراده.

أجربا: سيدي لا بد من دفع هذه التهم.

قيصر: لقد فعلت ذلك، وسافر الرسول: ولقد أخبرته بأن ليبيدس وصل إلى درجة عظيمة من القسوة حتى أساء استعمال سلطة وظيفته واستحق ما حصل له، وقد منحت أنطونيو

جزءاً من الأملاك التي غزوتها، لذلك طلبت منه جزءاً من فتوحه في أرمنيا والأقطار الأخرى.

مسيناس: لن يقبل ذلك مطلقاً.

قيصر: إذن يجب ألا نخضع له لنفس الأمر.

[تدخل أكتافيا وحاشيتها]

أكتافيا: مرحباً بقيصر وسيدي. مرحباً أعز الأعزاء

قيصر: واسوءتاه لمخاطبتك كمخلوق منبوذ احتقر وطرح جانباً كأنه عديم القيمة.

أكتافيا: لا تخاطبني هكذا وليس لديك من الأسباب ما يحملك عليه:

قيصر: لماذا تسللت إلينا خلسة هكذا؟ إنك لم تحضري كأخت قيصر. وكان من الواجب أن يكون لزوجة أنطونيو جيش من الخدم والحشم، وصهيل الخيل ينبئ بقدومها قبل وصولها بمدة طويلة، والأشجار على طول الطريق كان يجب أن تزدحم بمستقبليها من الناس، وأولئك الذين يرغبون في مجيئها يطول بهم الانتظار، والثرى الذي تثيره جنود جيشك اللجب يصعد إلى الجو وينتشر في طبقاته العليا ويغطي وجه الأرض، ولكنك أتيت كفتاة قروية قادمة من قريتها إلى روما، وبذا حرمنا إظهار شعورنا بحبك لأن الحب إذا فقد امتنعت دلائل الشعور به، وكان الواجب أن نقابلك في البر والبحر ونرحب بك في كل مرحلة من هذه الرحلة

أكتافيا: سيدي النبيل لم آت هكذا مضطرة، ولكن جئت بمحض إرادتي فإن سيدي مارك أنطوني عندما علم باستعدادك للحرب أنبأني بهذا الخبر المحزن ولذلك رجوته في العودة إليك.

قيصر: وسرعان ما أجابك إلى طلبك لأنك كنت عقبة في سبيل ملاذه البهيمية.

أكتافيا: لا تقل ذلك يا سيدي

قيصر: إن لي عيوناً تبعث لي بالتقارير عن أحواله. أين هو الآن؟

أكتافيا: في أثينا يا سيدي

قيصر: لا يا أختي التي أسيئت أكبر إساءة لقد أومأت إليه كليوباترا فذهب إليها طوعاً وهما الآن يحرضان ملوك الأرض على محاربتنا. ولقد لبي طلبه بكش ملك لوبية وأرثيلس ملك كبدوشيا، وفلد لفس ملك بافلجونيا وأدلس ملك تراقية وملكس ملك العرب، وملك بنت، وهردملك اليهود ومثريادس ملك كوماجين وبلمن وأمنتس وملكا ميدي ولكونيا وكثير غيرهم من أصحاب التيجان

أكتافيا: ما أتعسني؛ لأن قلبي مقسم بين عزيزين يناوئ كل، منهما الآخر

قيصر: مرحباً بك هنا، لقد منعتني خطاباتك من أن أثور لغضبي وأهجم عليه حتى أنظر كيف خدعك، مع أني أعرض نفسي للخطر بإهمالي. سري عنك ولا تجزعي لهذه الحوادث التي قد تنغص حياتك، لأني مضطر لاتخاذ خطة حاسمة معه، ولكن دعي المقادير تجري في أعنتها ولا تتكدري من حوادثها. مرحباً بك في روما، وليس شيء أحب إلى من أن أراك هنا، فلقد أسيئت معاملتك إساءة لا يمكن تصورها، وإني أتضرع إلى الآلهة في السماء أن تنصفك وأن تتولانا وكل من نحب برعايتها. مرحباً يا أحسن الناس مواساة لي وإشفاقاً عليّ.

أجربا: مرحباً يا سيدتي.

مسيناس: مرحباً يا سيدتي العزيزة، إن كل قلب في روما يحبك ويشفق عليك إلا أنطونيو هاتك الحرمات الذي أفحش في ملاذه،

وتخلص منك، وسلم قيادة أموره وسلطانه لامرأة غير شريفة أثارت علينا جماعات عظيمة.

أكتافيا: هل الأمر كذلك يا سيدي؟

قيصر: هذا أمر مؤكد. مرحباً يا أختي أرجو أن يكون الصبر دائماً لك لزاماً يا أعز الأخوات.

[يخرجون]

المنظر السابع

قريبا من أكتيوم - معسكر أنطوني

[تدخل كليوباترا وإنوبربس]

كليوباترا: لا بد أن أقتص منك. فلا تشك في ذلك.

إنوبربس: ولكن لم ذلك؟ لم ذلك؟ لم ذلك؟

كليوباترا: لقد عارضت في قيامي بنصيب في هذه الحرب وقلت إنه أمر غير لائق بي.

إنوبربس: أليس هو كذلك؟ أليس هو كذلك؟

كليوباترا: إذا كانت هذه الحروب قد شهرت بسببي فلماذا لا أحضرها بنفسي؟

إنوبربس: [على انفراد] أستطيع الإجابة لو أردت.

كليوباترا: ما الذي تقوله؟

إنوبربس: إن وجودك بالطبع سيستولى على مشاعر أنطوني، مع أنه سيكون لديه ما يشغل شعوره وأفكاره ووقته، ولا يمكن أن ينزل عن شيء منها بسبب وجودك، إنهم يعيبون عليه استخفافه بالأمور ويقولون في روما إن أغاك فوتنس ووصيفاتك يديرون شئون هذه الحرب.

كليوباترا: فلتهتك روما ولتقطع الألسنة التي تنال منا! إني أتحمل

نصيباً من تكاليف هذه الحرب، ولما كنت رئيسة لقطري فسأظهر في الميدان كأني رجل. وهذا واجب كما لو كنت ملكاً بدلاً من ملكة، فلا تعارض لأني صممت على ألا أبقى متخلفة.

إنوبربس: لقد أديت الواجب. ها هو ذا الإمبراطور قادماً.

[يدخل أنطوني وكنديس]

أنطوني: أليس من الغريب يا كنديس أنه اجتاز البحر اليوناني من تارنتم وبرندسيم بهذه السرعة واستولى على تورين؟ هل سمعت بهذا يا حبيبتي؟

كليوباترا: إن السرعة لا يمكن أن يمدحها قط إلا الخمل!

أنطوني: هذا تأنيب لطيف وقد يوجهه أفضل الناس إلى المتراخين الكسالى. يا كنديس سنحاربه في البحر.

كليوباترا: في البحر!

كنديس: ولماذا يريد سيدي أن يفعل ذلك؟

أنطوني: لأنه تحدانا في ذلك.

إنوبربس: هل طلب إليه سيدي أن يحاربه في معركة واحدة؟

كنديس: نعم، وأن يكون القتال في فرساليا حيث حارب قيصر بمبي، ولكنه رفض! لأنه ليس من صالحه، ويجب أن تفعل ذلك أنت أيضاً.

إنوبربس: إن سفنك ليس بها بحارة مدربون تدريباً طيباً لأن رجالها من سائقي البغال ومن الفلاحين، وقد جمع هؤلاء بسرعة بغض النظر عن لياقتهم لهذه الخدمة. أما أسطول قيصر فبحارته كثيراً ما حاربوا بمبي، ولذلك فهم مدربون على القتال في البحر، وسفنهم خفيفة سريعة الحركة. أما سفنكم فثقيلة بطيئة الحركة. ولن ينال منك إذا رفضت منازلته في البحر؛ لأنك على استعداد له في البر.

أنطوني: في البحر في البحر.

إنوبربس: يا سيدي الفاضل، إنك هناك تهدد قوة بأسك التي لا نظير لها في البر، وتضعف جيشك بتشتيته، هذا الجيش المكون أغلبه من المحاربين المشاة الباسلين وتترك الفرصة المؤاتية لك بإظهار مواهبك الحربية التي اشتهرت بها، وتترك النجاح المؤكد، وتعتمد على المصادفة وحسن الحظ

لنيل النصر.

أنطوني: سأحارب في البحر.

كليوباترا: عندي ستون سفينة: ليس عند قيصر خير منها.

أنطوني: سنحرق كل السفن الزائدة عن حاجتنا، وسنقصد بكل السفن المجهزة تجهيزاً تاماً إلى رأس أكتيوم ونغلب قيصر وإذا قهرنا عدنا إلى البر وقضينا عليه.

[يدخل رسول]

هات ما عندك.

الرسول: الأخبار صحيحة يا سيدي فلقد رأى العيون قيصر قادماً واستولى على تورين.

أنطوني: هل هو هناك بنفسه؟ هذا مستحيل، وغريب أن يقود جنوده بنفسه. يا كنديس تول قيادة الفيالق التسعة عشر في البر وكذلك الفرسان الاثنى عشر ألفاً، أما أنا فذاهب إلى البحر، هيا يا عروس البحر.

[يدخل جندي]

ما وراءك أيها الجندي الباسل؟

الجندي: أيها الإمبراطور النبيل لا تحارب في البحر ولا تعتمد على هذه الألواح البالية! هل فقدت الثقة في رجال مثلنا كثيراً ما جربت شجاعتهم وبلاءهم الحسن؟ فاترك المصريين والفينيقيين يذهبوا إلى البحر. أما نحن فتعودنا النصر في البر متلاحمين.

أنطوني: حسن، حسن،، هيا بنا.

[يخرج أنطوني وكليوباترا وإنوبربس]

الجندي: وحق هرقل إني على حق فيما أظن.

كنديس: أيها الجندي إنك لكذلك، ولكن تدبير هذه الحرب ليس أساسه قوته. بل هوى امرأة ترغب أن يحارب في البحر، أما نحن فخدم وعبيد لهذه المرأة.

الجندي: هل ستبقى القوات البرية المشاة منها والفرسان كتلة

واحدة متراصة؟

كنديس: سيشترك في الموقعة البحرية ماركس أكتافيوس ومرسيس جوستسيس وبيلكولا وسليس، ولكن قواتنا البرية تبقى كتلة واحدة. إن سرعة حضور قيصر فوق ما يتصوره العقل.

الجندي: عند ما كان في روما أرسل قواته أقساماً منفصلة، حتى إن جميع العيون التي بثثناها عليه خدعت خداعاً تاماً.

الجندي: هم يقولون: إنه شخص يدعى تورس.

كنديس: إني أعرف الرجل حق المعرفة.

[يدخل رسولكم]

الرسول: إن الإمبراطور يطلب كنديس.

كنديس: إن الوقت مفعم بالأخبار الغريبة، وكل دقيقة تأتينا بأخبار جديدة.

[يخرجون]

المنظر الثامن

سهل بالقرب من أكتيوم

[يدخل قيصر وتورس ومعه فرقته سائرة]

قيصر: تورس؟

تورس: سيدي.

قيصر: لا تهاجم في البر، بل احتفظ بكل قواتك مجتمعة ولا تنر الموقعة البرية حتى تنتهي من البحرية، ولا تتجاوز التعليمات المدونة في هذه الأوراق، وإن حظنا متوقف على هذه المخاطرة

[يخرجون]

المنظر التاسع

جزء آخر من السهل

[يدخل أنطوني وإنوبربس]

أنطوني: رتب أسطولنا في هذه الجبهة المشرف عليها الجبل وجهاً لوجه أمام قوة قيصر، ومن هذا المحل تراقب عدد السفن التي تهجم عليها.

[يخرجان]

المنظر العاشر

جزء آخر من السهل

[يسير كنديس بجيشه البري من جانب على المسرح. وتورس قائد قيصر من الجنب الآخر وبعدئذ يسمع صوت المعركة البحرية]

[يدخل إنوبربس]

إنوبربس: لقد خسرنا كل شيء، ولا يمكنني أن أقاوم بعد؛ فإن أنطوني وأمير البحر المصري فرا بسفنهما الستين التي أطلقت شراعها للريح: ورؤيتها كذلك أذهلتني وأعمت بصري.

[يدخل سكارس]

سكارس: واغوثاه أيتها الآلهة والآلهات جميعاً!

إنوبربس: ماذا دهاك؟

سكارس: لقد فقدنا أكبر نصف في العالم بجهلنا، ولقد أضعناه بسبب الانغماس في الترف والشهوات.

إنوبربس: كيف تسير الموقعة؟

سكارس: لقد أصاب فريقنا العطب الذي يعقبه الموت لا محالة، فإن هذه العاهرة المصرية، قاتلها الله، عندما كان الجيشان متعادلين في منتصف المعركة في القتال على ما يظهر أو كاد النصر يكون في جانبنا

– هذه المرأة المصرية فرت على جناح السرعة بأسطولها.

إنوبربس: لقد رأيت ذلك وأصاب عيني الرمد من المنظر، ولم أستطع تحمله أكثر من ذلك، وعند ما دارت سفنها مع الريح متأهبة للفرار أثر سحرها في أنطونيو الشريف وأسرع هو أيضاً في الهرب في إثرها، وكأنه بطة بحرية خرفة، وترك الموقعة على أشدها، ولم أر في حياتي من قبل منظراً يبعث على الخجل كهذا، منظراً ضاعت فيه الخبرة والرجولة والشرف.

إنوبربس: واسوءتاه! واسوءتاه!

كنديس: لقد ضاع حظنا في البحر وساء سوءاً يؤسف له، ولو أن قائدنا قام بما هو مشهور عنه من الشجاعة لكان النصر حليفنا ولكنه ضرب لنا مثلاً سيئاً في الهرب فحذونا حذوه وهربنا مرذولين.

إنوبربس: هل هذا رأيك؟ وإذا كان الأمر كذلك فكأني بك تفكر في التسليم لقيصر! إذ أننا قد أسقط في أيدينا.

كنديس: لقد فروا نحو بلبونيسيس.

سكارس: يسهل عليّ الذهاب إلى هناك، وسأنتظر وأرى.

كنديس: سأسلم جنودي فرساناً ومشاة إلى قيصر، ولقد تلقيت درساً في التسليم من ستة ملوك سبقوني.

إنوبربس: أما أنا فسأتبع أنطوني وحظه السيئ ولو أن تفكيري لا يوافقني على هذا العمل.

[يخرجون]

المنظر الحادي عشر

الإسكندرية، قصر كليوباترا

[يدخل أنطوني وأتباعه]

أنطوني: صه! إن الأرض تأمرني بألا أطأها بعد لأنها تخجل من حملي. أيها الأصدقاء أقبلوا. فلقد أظلمت عليّ الدنيا وضللت طريقي فيها إلى الأبد، وإن لدى سفينة مشحونة بالذهب فخذوها واقتسموها ثم فروا واصطلحوا أنتم وقيصر.

الجميع: الفرار! لا نفعله نحن.

أنطوني: لقد فررت أنا نفسي، وأوعزت إلى الجبناء أن يهربوا ويسلموا سيقانهم للريح، موّلين ظهورهم للعدو، فهيا يا أصدقائي ارحلوا! فلقد صممت على خطة، ولا أحتاج إليكم لتنفيذها، فارحلوا وخذوا أموالي من الميناء. واحسرتاه! لقد أتبعتها وكان ذلك جبناً مني، ولذا أخشى مقابلتها؛ وحتى شعر رأسي يثور عليّ والأبيض منه يؤنب الأسود لحمقي، وهذا يؤنب ذاك على الخوف والطيش.

فارحلوا أيها الأصدقاء؛ وسأوصي بكم بالرسائل بعض أصدقائي ليمهدوا لكم طريق الصلح مع قيصر؛ وأرجوكم ألا يظهر عليكم الأسى والحزن، وألا ترفضوا ما طلبته إليكم. اتعظوا بما أصابني، واهجروني كما هجرت أنا نفسي، واذهبوا حالاً إلى البحر، وسأسلمكم السفينة والمال.

أرجوكم أن تتركوني قليلاً، وإني لأرجوكم الآن وليس لي لديكم إلا الرجاء! لأني خسرت القيادة، ولذلك أرجوكم وسنتلاقى حالاً.

[يجلس]

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس ويتبعهم إرس]

إراس: اذهبي يا سيدتي إليه وواسيه.

إراس: افعلي يا أعز الملكات.

شرميان: افعلي! هل تفكرين في شيء آخر؟

كليوباترا: ذروني أجلس. وارحمتاه يا ملكة السموات!

أنطوني: لا. لا. لا. لا.

إراس: ألا ترى أن كليوباترا قد جلست بجوارك؟

أنطوني: تباً! تباً، تباً.

شرميان: سيدتي!

إراس: سيدتي أيتها الإمبراطورة العظيمة!

إراس: سيدي سيدي!

نعم يا سيدي إنه في موقعة فلپاي لم يستل سيفه، ولكنه تمنطق به كحلية يلبسها المرء في حفلات الرقص على حين قضيت على كسيس ذي الوجه الأصفر المتجعد، وأنا الذي أجهزت على بروتس المجنون؛ أما هو فقد اعتمد على رجال تحت إمرته، ولم يشترك في الموقعة التي

تحطم فيها الأسطول ولكن ما الفائدة الآن؟

كليوباترا: آه ساعدني.

إراس: الملكة يا سيدي الملكة.

إراس: اذهبي إليه وكلميه فلقد ضاع صوابه من العار.

كليوباترا: إذا ذهبت إليه يجب أن أستند إليكما لأني لا أستطيع الوقوف وحدي.

إراس: سيدي يا أشرف الرجال قف. الملكة قادمة لقد انحنى رأسها وسيقضى عليها إذا لم تنجها بمواساتك لها.

أنطوني: لقد أسأت إلى السمعة الحسنة التي كانت لي وإنه لتقهقر شنيع!

إراس: سيدي: الملكة!

أنطوني: واهاً لي! وإلى أي طريق سقتني يا ملكة مصر؟ انظري إني أخفي عاري بالابتعاد عندك والتأمل تأملاً مرة في ضياع قوتي وشهرتي.

كليوباترا: سيدي، سيدي، اصفح عن هربي من الموقعة هرب الجبان؛ إذ لم أكن أفكر في أنك ستلحق بي.

أنطوني: أنت تعرفين يا ملكة مصر حق المعرفة أن قلبي كان متعلقاً بك أينما كنت، وأني سأسير وراءك حتماً؛ وتعلمين أن لك كل السلطان على روحي، وأن إيماءة منك كفيلة أن تجعلي أهمل كل الواجبات حتى المقدسة منها.

كليوباترا: أرجو أن تصفح عني.

أنطوني: والآن يجب أن أتقدم لهذا الشاب بالرجاء، مستعملاً كل وسيلة وكل دهاء معه كما يفعل أولئك الذين وصلت حالتهم إلى الحضيض، أنا الذي كنت أملك نصف العالم، وأديره كما شئت، أرفع هذا وأخفض ذاك. إنك تعلمين مقدار سلطانك عليّ وأن حبك أضعف سلاحي طوعاً له.

كليوباترا: الصفح، الصفح.

أنطوني: لا تذرفي الدمع فكل دمعة من دموعك تساوي كل ما كسب وكل ما خسر. هات قبلة؟ وهذه تعوض خسارتي. لقد بعثنا مدرس أطفالنا إليه فهل عاد؟ حبيبتي، إني أشعر بانقباض شديد وحزن عميق. علينا بالخمر في داخل الحجرة هناك وبعض المأكولات. إن الحظ يعرف أننا نزيد في احتقارنا له عنده ما تزيد عبوسته.

[يخرجون]

المنظر الثاني عشر

معسكر قيصر

[يدخل قيصر، ودولابلا وثير بس وآخرون]

قيصر: فليحضر ذلك الشخص القادم من أنطوني. هل تعرفه؟

دولابلا: يا قيصر، إنه مربي أطفاله، وهذا برهان على أنه فقد كل جاهه لأن الرجل الذي كان منذ شهور يخضع لنفوذه عدة ملوك يستخدمهم رسلاً له – لم يجد شخصاً أحسن من مدرس يبعث به سفيراً!

[يدخل يوفر ونيس سفير أنطوني]

قيصر: تقدم وتكلم.

يوفر ونيس: لقد كنت منذ زمن قصير أقل أهمية من أن يستخدمني أنطوني، وكان مثلي معه كنقطة من الندى على ورقة شجرة بالنسبة إلى المحيط العظيم الذي جاءت منه!

قيصر: وليكن الأمر كذلك، هات رسالتك.

يوفر ونيس: يحييك سيدي تحية رجل أصبح مصيره في يدك، ويطلب إليك أن تسمح له بالإقامة في مصر، وإذا رفضت طلبه هذا يرجو أن تسمح له بالإقامة في أثينا كأي شخص عادي؛ هذا وأما ما يختص بكليوباترا فإنها تعترف لك بالعظمة وتخضع لسلطانك، وترجو أن يكون

لورثتها تاج البطالسة الذي لهم بحق الوراثة، هذا التاج الذي فقدته، ولا يمكن أن تسترده إلا برضاك ومعروفك.

قيصر: أما أنطونيو فإني أرفض كل ما يطلبه، وأما الملكة فإني لا أرفض مقابلتها أو الإصغاء إلى مطالبها على شريطة أن تطرد صديقها الذي تسربل لباس العار، أو تقتله؛ فإذا فعلت ذلك قابلتها وأنصت لها بترحاب، فاذهب وبلغها ذلك.

يوفر ونيس: فليرافقك الحظ!

قيصر: قودوه من بين الجنود (يخرج يوفر ونيس) (إلى ثير بس) لقد حان الوقت لتجربة فصاحتك. فاذهب سريعاً، وأثر على كليوباترا لتهجر أنطوني، وعدها باسمنا بإنجاز ما تطلب، بل زد على ذلك أن تعدها بأشياء أخرى تعرض لك، فإن النساء عندما يصل بهن الحظ إلى القمة لا يكن قويات، ولكن الحاجة قد تجعل أقدس القديسين يحنث في أيمانه ويخون عهوده، فاستعمل دهاءك يا ثيريس، وسيكون جزاؤك ما تطلبه من المكافأة التي سأدفعها كأمر يحتمه القانون.

ثيريس: سأذهب يا قيصر.

قيصر: لاحظ مبلغ أثر سوء حظ أنطوني في نفسه وما تنطوي عليه حاله البدنية والعقلية.

ثيريس: سأفعل يا قيصر.

[يخرجون]

المنظر الثالث عشر

الإسكندرية. قصر كليوباترا

[تدخل كليوباترا وإنوبربس وشرميان وإراس]

كليوباترا: ما الذي نعمله يا إنوبربس؟

إنوبربس: نيئس ثم نموت.

كليوباترا: أنحن المخطئون أم أنطوني؟

إنوبربس: أنطوني لأنه جعل لهواه السلطان على عقله؛ إذ أنه حتى على فرض أنك هربت من نيران الموقعة المشتعلة التي كانت تتطاحن فيها القوى، فلماذا اقتفى أثرك وحذا حذوك واختار بذلك أسوأ وقت لجعل ولهه يؤثر في مهنته بوصفه قائداً، وذلك عند ما كانت جيوش نصف العالم تحارب جيوش النصف الآخر، وكان القتال بسببه، ولعمري إن هربه وراءك وتركه أسطوله (وقد استولت عليه الدهشة من جراء فراره)

كان عملاً مخجلاً ومزرياً كما أنه قضى على آماله.

كليوباترا: أرجوك أن تكف ولا تزد.

[يدخل أنطوني ويوفر ونيس السفير]

أنطوني: هل هذا جوابه؟

يوفر ونيس: نعم يا مولاي.

أنطوني: ستعامل الملكة معاملة حسنة على شريطة أن تتخلى عني!!

يوفر ونيس: لقد قال ذلك.

أنطوني: أخبرها بذلك وقل لها أن ترسل رأسي هذا المختلط شعره الأبيض بالأسود إلى الولد قيصر وفي مقابل ذلك ينعم عليها بأقصى مبتغاها من سيادة الأقاليم.

كليوباترا: ذلك الرأس يا مولاي؟

أنطوني: اذهب إليه ثانية. وقل له إن الدنيا تنتظر من شاب مثله في ريعان شبابه المجيد ما لم يستطعه غيره، ولقد تكون أمواله وسفنه وجيوشه ملكاً لطفل جبان له من الأنصار والأعوان ما يستطيعون إحراز النصر بنفس السرعة التي كنت أنتصر بها، وأنا قائد لقيصر، ولذلك أتحداه بأن يصرف النظر عن المباهاة بحظه وموازنته بحظي، لأن الموازنة في صالحه، أتحداه بأن يبارزني وجهاً لوجه، سيفاً لسيف: سأكتب له بذلك فاتبعني.

[يخرج أنطوني ويوفر ونيس]

يوفر ونيس: [على انفراد] هل من الجائز أن قيصر المتغطرس القائد لجيوش عظيمة يخلع عن نفسه ثوب العظمة وينزل عن كبريائه ليظهر شجاعته أمام الملأ في معركة مع فرد من الأفراد؟ لعمري إن قوة الحكم على الأمور عند الناس مرتبطة تمام الارتباط بحظهم، والطوارئ الظاهرة تضطر القوى العقلية لإتباعها في الطريق التي تهوى بها إلى

الدمار. وإني لأعجب له، وهو القادر على سبر غور طاقة المرء كيف يتصور أن قيصر وهو الآن في قمة حظه، يبارز رجلاً سقط إلى الحضيض. لقد قهرت يا قيصر أيضاً رشده وتدبيره.

[يدخل تابع]

التابع: رسول من قيصر.

كليوباترا: هل قضى على الآداب المرعية: انظرن يا نسائي إن الذين كانوا على استعداد لاستنشاق رائحة الوردة قبل أن تتفتح عنها أكمامها لا يترددون الآن في التأفف من شمها عند ما يتم تفتحها وتفقد رائحتها دعه يا سيدي.

[يخرج التابع]

إنوبربس: (على انفراد) إن شعوري بالشرف وميولي أخذت تضارب بعضها بعضاً. وإن استمرار الإنسان على ولائه لمن فقدوا شعورهم لقلب هذا الولاء إلى حمق لا أكثر ولا أقل، على أن من يستطيع تحمل إظهار الولاء لسيد عبث به الدهر ليظهر فضله على من خان سيده، ليستحق الذكر الحسن عند ما تتداول القصة بين الناس.

[يدخل ثير يس]

كليوباترا: ما الذي عزم عليه قيصر جواباً لطلبي؟

ثيريس: اسمعيه على انفراد.

كليوباترا: كل من حولي أصدقاء فقلها ولا تخش أحداً.

ثيريس: إذا كانوا أصدقاءك فقد يكونون أصدقاء أنطونيو أيضاً.

إنوبربس: إنه في حاجة إلى عدد من الأصدقاء كعدد أصدقاء قيصر ليواسوه، أو لا يحتاج إلى أي صديق إذ بلغت به الحال إلى درجة اليأس القاتل. وإذا سمح قيصر فإن صديقنا أنطوني يسره أن يكون صديق قيصر. أما نحن فإنا أتباع من يتبعه أنطوني وهو قيصر.

ثيريس: حسن جداً. اعلمي إذن أيتها السيدة ذات الشهرة المجيدة أن قيصر يرجوك ألا تفكري فيما آل إليه أمرك، وأن تعتمدي على كرم أخلاقه المعهود.

كليوباترا: تفضل بالاستمرار.

ثيريس: إنه يعلم أنك لم تحبي انطوني بهذا القدر إلا لأنك كنت تخشينه.

كليوباترا: عجباً!

ثيريس: إنه يشفق عليك من الجراح التي أصابت شرفك إذا كنت لظروف قاهرة اضطررت إليها بلا إثم أو جريرة.

كليوباترا: إنه إله ويعرف الحق الذي ليس فوقه حق؛ فإن شرفي لم أسلم فيه من تلقاء نفسي؛ لكنه اغتصب مني اغتصاباً.

إنوبربس: (على انفراد) يجب أن أسأل أنطوني كي أتحقق من صحة ذلك. سيدي! سيدي!. إن فلكك أصابها العطب، ونفذ إلى جوفها الماء، ويجب أن نتركك لتغرق وحدك؛ لأن أعز شخص لديك يهجرك!

ثيريس: هلا تتكرمين وتخبرينني بما تريدينه من قيصر؛ إذ يكاد يرجوك أن تختبري كرمه، وإنه ليسره أن تتخذي من قوته سنداً تعتمدين

عليه، ولكن مما يبعث في نفسه نشوة السرور أن يسمع منك أنك ستهجرين أنطونيو، وتضعين نفسك تحت حماية قيصر ملك العالم بأجمعه.

كليوباترا: ما اسمك؟

ثيريس: اسمي ثيريس

كليوباترا: يا أنجب الرسل أرجو أن تقبل يد قيصر نيابة عني، وأن تخبره أني مستعدة أن أضع تاجي تحت قدميه وأركع أمامه وأني أريد أن أسمع ممن تخضع له كل الناس ما يقرره بشأن مصير مصر.

ثيريس: إنها أشرف خطة لك، وعند ما يكون الحزم والحظ متضاربين يجاهد الأول ويناضل إلى أقصى حدود الجهاد والمناضلة، ولا يمكن أن يشله سوء الحظ مهما أوتي من قوة. اسمحي لي أن أظهر خضوعي واحترامي لك بأن ألمس بشفتي يدك.

كليوباترا: إن والد قيصرك عند ما كان يفكر في غزو الأقطار كان كثيراً ما يضع يده على هذه اليد الضعيفة ويمطرها وابلاً من القبلات

[يدخل إنطونى وانوبربس]

أنطوني: عطف وأفضال وحق الإله الذي يثير الرعد والصواعق!

من أنت يا رجل؟

ثيريس: رجل مكلف أوامر ممن حبته الطبيعة كل أوصاف الرجولة، وأحق من يأمر فيطاع.

إنوبربس: [على انفراد] ستجلد.

أنطوني: [لتوابعه] هيا أقدموا من هناك. أيها المخلوق الدنس.

يا آلهة ويا شياطين: إن السلطة تزول مني، وقد كنت من قبل عندما أدعو "يا" تلبي دعوتي الملوك على عجل وينفرون كما ينفر الأولاد في اللعب ويجيبون ما الذي تريده. ألا تسمعون إني ما زلت أنطونيو.

[يدخل أتباع]

خذوا هذا الشرير الوقح واجلدوه بالسياط.

إنوبربس: [على انفراد] لأن يداعب المرء شبل الأسد آمن من أن يعبث بأسد مسن في الاحتضار.

أنطوني: بحق القمر والنجوم اجلدوه ولعمري إني سأجلد رجالاً من أكبر رعية قيصر ولو بلغوا العشرين لو رأيتهم يسيئون الأدب بلثم يدها – هي التي هنا – ما اسمها؟ لقد كانت تسمى في يوم ما كليوباترا! اجلدوه أيها الرجال حتى تروا وجهه يتقلص كوجه الأطفال من الألم، ويئن أنيناً مرتفعاً طالباً الرحمة خذوه من هنا.

ثيريس: يا مارك أنطوني.

أنطوني: أحملوه وعند ما توسعوه ضرباً أحضروه ثانية وإن هذا السافل التابع لقيصر سيحمل منا رسالة إليه.

[يخرج الخدم وتيريس]

(إلى كليوباترا) لقد كانت شهرتك ضئيلة عند ما عرفتك وهل تركت فراشي بروما وما زال قشيباً، وحرمت نفسي ذرية شرعية من امرأة هي

جوهرة بين النساء، وجئت هنا لكي تسيء إلى امرأة عطفها عليّ لا يعدو أن يكون كعطفها على خادم من خدمها!

كليوباترا: واسوءتاه يا سيدي الطبيب!

أنطوني: قد كنت كثيرة الخطأ دائماً ولكن إذا ما جعلتنا أخطاؤنا أشد قسوة فإن الآلهة تختم على بصائرنا وتجعلنا نقدس هذه الأخطاء. ونسر منها ونحن نسير الخيلاء إلى الدمار والهلاك

كليوباترا: واعجبا كل العجب! هل تعتقد فيّ هذا الاعتقاد السيء؟

أنطوني: لقد وجاءتك متعة لقيصر بل لبمبي، ثم عافتك نفساهما كما يعاف الآكل المملوء فضلات الطعام، وفضلاً على ذلك كنت أكثر ميلاً للشهوة البهيمية، وأكثر شهرة بها إلى حد مبتذل أكثر من المألوف وإني متيقن أنك لا تعرفين العفة ولو أنك قد تعرفين معناها.

كليوباترا: ولم كل ذلك؟

أنطوني: ذلك لأنك قد سمحت لفتى مستعد دائماً لأن يأخذ أية هبة تقدم له وأن يشكر معطيها بقوله "أحسن الله إليك" سمحت له بأن يعبث بيدك التي هي بغيتي، هذه اليد التي تستأهل حب الملوك الذين يقدمون لها العهود والمواثيق على هذا الحب فياليتني كنت مع العجول التي يؤتى بها لدار الذبح فتضطرب وتثور وتصيح صياحها المزعج، إذن لعلا صوتي أصواتها. إن لدي من الأسباب ما قد يفضي بي إلى الجنون. ولو أني أفصحت عنها بلغة هادئة لكان مثلي في هذا مثل الرجل المعلق في حبل المشنقة الذي يشكر الجلاد على مهارته في وضع الجبل حول عنقه!!

[يعود الخدم ومعهم ثيريس]

هل جلدتموه؟

الخادم الأول: جلداً قاسياً يا سيدي.

أنطوني: هل صرخ واستغاث وطلب الصفح؟

الخادم الأول: لقد طلب الصفح عنه.

أنطوني: لو كان والدك حياً لندم لأنه لم يلد ابنة بدلاً منك فلتأسف على استعدادك لإطاعة أوامر قيصر في نزواته لأنك جلدت من جراء ذلك. ومن الآن فصاعداً ستدب في جسمك الحمى عنده ما ترى يد امرأة وترتعد فرائصك. ارجع إلى قيصر وقل له كيف رحبنا بك هنا، وإنه يسيء إليّ! لأنه يظهر الكبرياء والغطرسة ويذكر دائماً الحالة التي صرت إليها، وينسى ما كنت فيه. إنه يسيء إليّ وليس أسهل عليه من أن يفعل ذلك الآن لأن كواكب سعدي التي كانت تهديني الطريق السوي فيما مضت تركت مداراتها خالية منها وهوت إلى سحيق الجحيم، فإذا أغضبه كلامي والمعاملة التي عاملتك بها فنبئه بأن رقيق هيراكس الذي عتقته له أن يجلده أو يشنقه أو يعذبه كما يشاء كي يقتضي منه دينه، ولح عليه في هذا. ارحل.

كليوباترا: هل انتهيت؟

أنطوني: وا أسفاه إن قمر السماء قد خسف وخسوفه لا ينبئ بشيء سوى هلاك أنطوني.

كليوباترا: لا بد من الانتظار حتى تهدأ ثورة غضبه.

أنطوني: لأجل أن تتملقي قيصر تتبادلين نظرات الحب وشخصاً وضيعاً فحسب.

كليوباترا: لم تعرفني بعد.

أنطوني: ألم يصب قلبك الفتور بالنسبة إليّ؟

كليوباترا: يا عزيزي لو كنت كذلك فليخلق الله من قلبي البارد برداً ويسمم منبعه وتسقط أول بردة منه على رأسي وتذوب فتذوب معها نفسي، ثم تسقط على رأس ولدى قيصرون فيموت ويموت معه كل المصريين الباسلين الذين تدمرهم هذه العاصفة النازلة وتطرحهم أرضاً، وتترك جثثهم ليأكلها ذباب النيل وبعوضه.

أنطوني: إني مكتف بهذا. من المؤكد أن قيصر سيقيم معك بالإسكندرية وسيبدأ حصاره للمدينة وسأقابله وأقضي على الحظ السعيد الذي قدر أن يلازمه، وقواتي البرية أصبحت متماسكة وأسطولنا لم شعثه والتأم صدعه وصار عظيم الجدارة بأن يخوض غمار معركة بحرية. أين كنت يا شجاعتي؟ هل تسمعين يا سيادة؟ فإذا قدر لي أن أعود من القتال لألثم هاتين الشفتين مرة أخرى فسأكون مخضباً بالدماء، وأنا وسيفي سنستحق شهرة عظيمة. وليس هنا داع لليأس.

كليوباترا: لقد تكلمت بشجاعة يا سيدي.

أنطوني: ستكون قوتي ثلاثة أضعافها، وكذلك شجاعتي وعزمي ولا يفر مني فرد: لأني عندما كنت محظوظاً كنت سخياً في العفو عن الناس أما الآن والناس تزدريني وتمطرني وابلاً من النكات عند ما خانني الحظ

وتقلص مجدي وضاعت مهابتي فسأتنمر وأقضي على كل من يقف في طريقي. هيا بنا نقض ليلة أخرى مرحة. أدعى إلى كل قوادي الآسفين واملئي كئوسنا مرة أخرى وسنسرف في لهونا وسرورنا ليلاً مهما طال الوقت.

كليوباترا: إنه عيد ميلادي ولكن لقد كنت عزمت ألا أحتفي به إلا احتفاء حزيناً كدراً ولكن بما أن أنطونيو قد عادت إليه نفسه فإني سأعود كليوباترا مرة ثانية.

أنطوني: ما زالت هناك فسحة من الوقت للنجاح.

كليوباترا: ادعوا كل قواد سيدي الشرفاء إليه.

أنطوني: نعم أدعهم وسأحادثهم وسأجعلهم يسرفون في شرب الخمر إسرافاً شديداً حتى يخرج من ندب جراحهم. تعالي يا ملكتي فإني ما زلت قوياً وعند ما أحارب في هذه المرة الثانية سأتبارى أنا والموت في حصد الأرواح لأريه من منا يحصد بمنجل الردى أكثر من خصمه.

[يخرج الجميع ما عدا انوبربس]

إنوبربس: إنه سيخضع لكل إسراف في الحنون وإن هياجه وغضبه سيكسبانه جرأة وإقداماً، وعندئذ يستنسر البغاث، هذا إلى أني أرى أنه كلما ضعفت قوي أنطوني العقلية عادت إليه شجاعته؛ وعند ما تتسلط الشجاعة على العقل تقتل ما كان أصدق أسلحتها. سأبحث عن وسيلة لتركه وشأنه.

[يخرجون]

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام الإسكندرية، معسكر قيصر

[يدخل قيصر وأجربا وميسناس ومعه جيشه، ويقرأ خطاباً]

قيصر: إنه يدعوني ولداً ويؤنبني كما كان يفعل ذلك لو أن به من القوة ما يقوى على طردي من مصر، ولقد ضرب رسولي بالسياط، ويدعوني لمبارزته منفردين وجهاً لوجه، قيصر وأنطوني!! ألا فليعلم ذلك الشرير العجوز أني لو أردت الموت لكانت لدي وسائل أخرى غير أن أحط بقدري وأنازله. أما الآن فما عليّ إلا أن أسخر من تحديه.

ميسناس: يجب أن يعلم قيصر أنه عند ما تأخذ سورة الغضب رجلاً عظيماً كهذا – فإن من السهل اقتناصه والقضاء عليه، فلا تمنحه مهلة يسترد فيها قوته وانتهز فرصة ضعف إرادته كما هو الآن؛ فإن الرجال الذين تستولي عليهم حدة الغضب مثله الآن يهملون دائماً الاحتياطات الضرورية لسلامتهم.

قيصر: أخطروا أكفاء قوادي أننا في الغد سنخوض غمار آخر موقعة من المواقع الكثيرة التي قصدنا أن نحارب فيها، ومن بين صفوفنا كثير ممن خدموا مارك أنطوني مؤخراً، وفيهم الكفاية للقبض عليه، فنفذوا أوامري وأحسنوا طعام الجنود، والمئونة التي معنا كافية لذلك! لأنهم يستحقون بأعمالهم أن نسرف لهم في المأكل والمشرب. ما أتعسك يا أنطوني!!

المنظر الثاني

الإسكندرية، قصر كليوباترا

[يدخل أنطوني ومعه كليوباترا وأنوبربس وشرميان وإراس والكسس وآخرون]

أنطوني: يرفض أن ينازلني يا دمتس.

إنوبريس: نعم.

أنطوني: ولم ذلك؟

إنوبربس: إنه يظن أن حظه أعلى من حظك، عشرين مرة ولذلك يكون أقوى منك عشرين مرة.

أنطوني: في الغد أيها الجندي سأحاربه في البر والبحر: فإما أن أحيا وإما أن أموت مخضباً شرفي بالدماء، فأحيا بعد الممات.

هل تستطيع أن تجيد القتال؟

إنوبربس: سأطعن وأصيح: "فلنستول على كل شيء" إما النصر وإما الموت.

أنطوني: حسناً ما قلته، هيا بنا، وادع خدم منزلي ولنسرف الليلة باستمتاعنا بالمأكل والمشرب.

[يدخل ثلاثة أو أربعة من الخدم]

هات يدك، لقد كنت خادماً شديد الإخلاص وأنت، وأنت، وأنت؛ لقد خدمتموني خدمة طيبة، ولقد شارككم بعض الملوك في هذا.

كليوباترا: ما الذي يقصده بذلك؟

إنوبربس: [على انفراد مع كليوباترا] إنها نزعة من النزعات التي يسببها الحزن.

أنطوني: وأنت كنت مخلصاً أيضاً، فياليتني أستطيع أن أكون أشخاصاً بقدر عددكم وأنكم اندمجتم في شخص واحد هو أنطوني؛ حتى أستطيع أن أسد دين ولائكم لي بأن أكون مخلصاً لكم كما كنتم لي.

الجميع: معاذ الله!

أنطوني: يا فتياني الطيبين، اخدموني الليلة واملئوا أقداحي كما اعتدتم عندما كنت سيداً لإمبراطورية تطيع أوامري مثلكم.

كليوباترا: [على انفراد إلى إنوبربس] ما الذي يقصده؟

إنوبربس: [على انفراد مع كليوباترا] إنه يريد يستبكي خدمه.

أنطوني: اخدموني الليلة فلربما كانت آخر خدمتكم لي، وقد لا تروني مرة أخرى، وإذا رأيتموني فستجدونني خيالاً لعظمتي السابقة، وجثة مثخنة بالجراح، وفي الغد ربما تخدمون سيداً آخر، وكأني بكم الآن تودعونني يا أصدقائي الأمناء، إني لا أطردكم من خدمتي، ولكن الموت هو الذي يضع لها حداً. اخدموني الليلة ساعتين لا أكثر وأرجو أن

نكافئكم على ذلك.

إنوبربس: ما الذي تقصده يا سيدي بإدخال الحزن على أنفسهم. انظر؛ إنهم يبكون، وها قد أغرورقت عيناي أيضاً بالدموع، واخجلاه! لا تحملنا على البكاء كالنساء.

أنطوني: وي! وي! وي! فلتسحقني الساحرة بقوة سحرها الخبيث إذا قصدت ذلك، إن العطف ينبت حيث تسكب هذه الدموع، يا أصدقائي المخلصين، لقد فهمتم كلماتي على أنها كلمات حزن وأسى، غير أني لم أقصد إلا مسرتكم، وأن تأخذوا قسطكم كاملاً من اللهو طول الليل. واعلموا يا أعزائي أن لي أملاً طيباً في الغد، وسأقودكم وأنتظر أن أعيش عيشة المنتصر، وذلك خير لي من أن أموت موتة شريفة، هيا إلى العشاء، ولتمرحوا ولتقضوا وقتاً في لهو ولعب.

[يخرجون]

المنظر الثالث

الإسكندرية - أمام القصر

[يدخل جنديان إلى دركهما]

الجندي الأول: عم مساء يا زميلي، إن غداً سيكون يوم الفصل.

الجندي الثاني: سيبرم فيه الأمر إما لهذا وإما لذاك، وداعاً. هل سمعت عن شيء غريب في الشوارع؟

الجندي الأول: لم أسمع شيئاً فما الأخبار؟

الجندي الثاني: من المحتمل أنها مجرد إشاعة. أسعدت مساء

الجندي الأول: أسعدت مساء يا سيدي.

[يدخل جنديان آخران]

الجندي الثاني: أيها الجنديان تيقظا في حراستكما

الجندي الثالث: وأنت أيضاً؛ أسعدت مساء، أسعدت مساء.

[يقفون في كل ركن من أركان المسرح]

الجندي الرابع: سنحرس هنا. إذا انتصر في الغد أسطولنا فإني شديد الأمل في أن جيشنا البري سيقاوم.

الجندي الثالث: إنه جيش شجاع صادق العزيمة.

[موسيقى من مزامير من الخشب وكأنها تسمع من تحت المسرح]

الجندى الرابع: صه؛ ما هذا الصوت؟

الجندي الأول: أصغ، أصغ.

الجندي الثاني: استمع!

الجندي الأول: موسيقى في الهواء.

الجندي الثالث: تحت الأرض.

الجندي الرابع: إنها علامة حسنة أليس الأمر كذلك

الجندي الثالث: لا.

الجندي الأول: أقول لكم. اسكتوا. وما معنى هذا؟

الجندي الثالث: إنه الإله الجبار هرقل الذي يحبه أنطوني وقد تخلى عنه الآن.

الجندي الأول: هيا بنا نسر لنرى: أسمع الحراس الآخرون ما نسمع؟

[يتقدمون لدرك حارس آخر]

الجندي الثاني: ما الخبر يا رفاقي؟

الجميع: [يتكلمون معاً] ما الخبر! ما الخبر! هل تسمعون هذا؟

الجندي الأول: نعم أو ليس ذلك غريباً؟

الجندي الثالث: هل تسمعون أيها الزملاء؟ هل تسمعون؟

الجندي الأول: هيا بنا نقتف أثر الضوضاء حتى نهاية درك حراستنا وننظر كيف تنقطع الضوضاء.

الجميع: حسن جداً، وإنه لأمر عجيب.

[يخرجون]

المنظر الرابع

حجرة في القصر

[يدخل أنطوني وكليوباترا، وشرميان وغيرهم من الحشم]

أنطوني: يا إرس عليّ بدرعي يا إرس!

كليوباترا: ثم قليلاً.

أنطوني: لا يا حبيبتي تعال يا إرس، درعي يا إرس.

[يدخل إرس ومعه الدرع]

تعال أيها الفتى الطيب وألبسني درعي. إذا لم يساعدنا الحظ اليوم فما ذلك إلا لأنا نتحداه: هيا

كليوباترا: ولكني سأساعد أنا أيضاً. لأي شيء هذا؟

أنطوني: هذا ليس من عملك؛ فإن عملك هو أن تبعثي في قلبي الشجاعة العظيمة الفائقة لا أن تدرعيه بالحديد.

كليوباترا: هذا أمر مؤكد. سأساعد. هكذا يجب أن يكون.

أنطوني: حسن، حسن. سننجح الآن، ألا ترى أيها الفتى الطيب كيف تسلحت تسليحاً تاماً. اذهب والبس سلاحك.

إرس: سريعاً يا سيدي.

كليوباترا: أليس هذا محكم التزرير؟

أنطوني: ليس بعد، ليس بعد. ومن يجسر على حله إلا بإرادتنا عند ما نخلعه لنستريح فإنه سيلقى جزاء قاسياً، أنت تخطئ يا إرس وملكتي أكثر مهارة منك فأسرع. يا حبيبتي تستطيعين أن ترى أسلوبي في الحرب اليوم والخطة المحكمة التي سأتبعها. إنك سترين رجل جد لا يعبث في القتال.

[يدخل جندي مسلح]

أسعدت صباحاً يا هذا. ومرحباً. يظهر عليك أنك رجل ماهر في القتال. إن العمل يجعلنا نستيقظ مبكرين ونبدؤه فرحين.

الجندي: ولو أن الوقت ما زال مبكراً: فإن ألفاً من الجنود قد ذهبت بكامل عتادهم وأسلحتهم إلى باب المدينة ينتظرونك.

[جلبة – ترنيم من الأبواق] يدخل الضباط والجنود.

ضابط: إن الصباح صحو. أسعدت صباحاً أيها القائد.

الجميع: أسعدت صباحاً أيها القائد.

أنطوني: إنه يوم مبهج تسطع فيه أشعة الشمس، وما أشبه هذا الصحو المبكر في صباحنا بروح الشباب المتطلع إلى الشهرة في أقرب فرصة. هيا، هيا، أعطيني هذا من هنا. حسناً فعلت وداعاً، وداعاً [يقبلها] هذه قبلة جندي، وإن من يركن إلى آداب اللياقة المعروفة، ولا يكرمك كما فعلت يستحق تأنيب الناس له، وإني أتركك الآن في ثبات الرجال وشجاعتهم، أما أنتم أيها الرفاق المقاتلون فسأقودكم إلى

المعمعان حيث يشتد القتال، وداعاً.

[يخرج أنطوني وإرس والقواد والجنود]

شرميان: أرجوك أن تذهبي إلى حجرتك.

كليوباترا: خذيني إليها. إنه يذهب إلى النضال ببسالة، ولو تيسر له وقيصر أن ينهيا هذه الحرب في موقعة واحدة لتأكد النصر لأنطوني. هيا تقدمي.

[يخرجان]

المنظر الخامس

الإسكندرية، معسكر أنطوني

[ترنيم من الأبواق – يدخل أنطوني وإرس ويقابلهما جندي]

الجندي: يا ليت الآلهة تجعل هذا اليوم يوماً مباركاً لأنطوني!

أنطوني: ألم تطلب إليّ وأنت الشجاع الذي تدل على شجاعته آثار جراحه – أن أحارب براً؟

الجندي: لو أنك فعلت ذلك لتبعات اليوم الملوك الذين ثاروا عليك، والجندي الذي تركك هذا الصباح.

أنطوني: من الذي تركني هذا الصباح؟

الجندي: من؟ واحد من أقرب الناس إليك. فادع إنوبربس فإنه لا يسمعك، أو ربما أجابك من معسكر قيصر قائلاً: "لست من أتباعك الآن".

أنطوني: ما الذي تقوله؟

الجندي: يا سيدي هو مع قيصر.

إرس: ما زال متاعه وأمواله هنا لم يأخذها معه.

أنطوني: هل ذهب؟

الجندي: هذا أمر مؤكد كل التأكيد.

إنطوني: أذهب يا إرس وأرسل أمواله إليه، ولا تحجز شيئاً منها مهما كان تافهاً، فقم بتنفيذ ذلك واكتب له كلمة وداع وتحيات رقيقة وسأوقع على هذا الخطاب، وقل له فيه: إني أرجو ألا يجد ما يجعله يستبدل بسيده الجديد سيداً آخر واهاً لحظي، واهاً لحظي الذي أفسد الناس الأمناء! عجل! وي يا إنوبربس!

[يخرجون]

المنظر السادس

معسكر قيصر

ترنيم من الأبواق [يدخل قيصر وأجربا، ومعهم إنوبربس وآخرون]

قيصر: اذهب يا أجربا، وابدأ المعركة ورغبتي أن يؤسر أنطوني.

هيا فأعلن ذلك.

أجربا: سأفعل ذلك.

قيصر: لقد اقترب وقت السلام العام، ولو نجحنا في هذا اليوم، فإن أقسام الأرض الثلاثة ستتمتع بهذا السلام.

[يدخل رسول]

الرسول: لقد جاء أنطوني في ميدان المعركة.

قيصر: اذهب يا أجربا وضع في المقدمة الجنود الذين فروا من أنطوني حتى ينشب أظفار غضبه في جنوده.

[يخرج الجميع ماعدا إنوبربس]

إنوبربس: لقد خرج ألكسس عليه، وذهب إلى هرود ملك اليهود بحجة أن يستميله إلى جانب أنطوني، ولكنه هناك حمله على أن ينضم إلى قيصر ويترك سيده أنطوني، ولقد شنقه قيصر على فعلته هذه، وقد

يرحب قيصر بكنديس وآخرين ممن نقضوا عهدهم مع أنطونيو، ولكنه لا يثق بهم، ولعمري إني قد أسأت التصرف، وإني أتهم نفسي بهذا وأقرر أني لن أسر بعد.

[يدخل جندي من جنود قيصر]

الجندي: لقد أرسل لك أنطوني يا إنوبربس في إثرك كل أموالك ومعها هدايا من عنده، وجاء الرسول في دركي، وهو ينزل حمولة من على ظهر البغال الآن عند خيمتك.

إنوبربس: إني أهبها لك.

الجندي: لا تسخر مني يا إنوبربس، فقد قلت حقاً، ومن الخير أن تؤمن طريقه إلى خارج المعسكر، أما أنا فيسرني أن قمت بأداء مهنتي، ولولا ذلك لقمت بذلك بنفسي، إنه ما زال إمبراطوراً شريفاً كالإله [المشتري].

إنوبربس: أنا وحدي شر مخلوقات الأرض، ولا يشعر شخص ما بذلك شعوراً أكثر مرارة مني، ويا أنطوني، كم يكون مقدار كرمك لو أني خدمتك خدمة أكثر خلاصاً إذا كان كرمك لي على ثورتي عليك الذهب! لعمري إن هذا ليفعم قلبي بالأسف؛ حتى ليكاد ينفجر، وإذا كان هذا الأسى لا يقضي عليّ فسأعمد إلى وسيلة أخرى تودي بي وتوصل إلى ذلك! سأحارب ضدك. لا. سأذهب للبحث عن خندق لأدفن نفسي به، إذ لا يلائم البقية من حياتي سوى الأوضار والدنس.

[يخرج]

المنظر السابع

ميدان القتال بين المعسكرين

[تنبيه بالطبول والأبواق، يدخل أجربا وآخرون]

أجربا: ارجعوا فلقد خاطرنا مخاطرة أكثر من اللازم، وسمحنا لحماستنا أن تتغلب على حكمتنا، وإن قيصر مضغوط عليه ضغطاً شديداً وإنهم يرهقوننا إرهاقاً أشد مما كنا ننتظره.

[يخرج]

[تنبيه: يدخل أنطوني وسكارس مجروحاً]

سكارس: يا إمبراطوري الباسل: هذا قتال حق، ولو أنا بدأنا المعركة بهذه الشدة لطاردناهم إلى منازلهم وهم مثخنون بالجراح.

أنطوني: أنت تنزف الكثير من الدم.

سكارس: أصبت بجرح صغير ثم اتسع.

أنطوني: إنهم يتقهقرون.

[يدخل إرس]

إرس: لقد هزموا يا سيدي، وتفوقنا عليهم كفيل بأن يمنحنا انتصاراً عظيماً.

سكارس: فلندمغ ظهورهم ولنقبض على أعناقهم كما تقتنص الجوارح الأرانب.

أنطوني: سأكافئك من أجل إثارة حماسي مرة، وأكافئك عشرة أضعاف ذلك من أجل شجاعتك العظيمة. هيا معي.

سكارس: سأمشي مشية العرجاء في إثركما على قدر استطاعتي.

[يخرجون]

المنظر الثامن

بجوار أسوار الإسكندرية

[تنبيه: يدخل أنطوني سائراً وسكارس مع آخرين]

أنطوني: لقد انتصرنا عليه ورددناه إلى معسكره فليسبقنا أحدكم ويخبر الملكة بأعمالنا الجليلة:

وفي الغد قبل أن تطلع الشمس علينا سنريق دم أولئك الذين نجوا اليوم وإني أشكركم؛ إذ برهنتم على أنكم جنود باسلون وقاتلتم لا كالجنود المرتزقة، بل كأنكم كنتم تحاربون من أجل أنفسكم لا من أجلي فلقد برهنتم على بطولتكم، فادخلوا المدينة وقبلوا زوجاتكم وأصدقاءكم واشرحوا لهم أعمالكم فإنهم سيبكون من السرور ويمسحون الدم المتجمد فوق جراحكم، ويقبلون هذه الجروح فتندمل [إلى سكارس] هات يدك.

[تدخل كليوباترا ومعها الأتباع]

سأطرى أعمالك لهذه الساحرة، وأجعلها تباركك بشكرها [إلى كليوباترا]: يا زينة الدنيا، عانقيني وضعي يديك حول رقبتي المسلحة، وثبي بكل جسمك وملابسك وانفذي في صدري المدرع إلى قلبي واجلسي فوق لهثي الذي ينبعث منه بالانتصار.

كليوباترا: يا سيد الأسياد ويأيها البطل العظيم ذا البسالة التي لا حد لها، هل جئت مبتسماً ناجياً من الحرب مجزرة العالم؟

أنطوني: يا بلبلتي، لقد هزمناهم واقتفينا أثرهم حتى ارتدوا إلى مضاجعهم، فلا تعجبي يا فتاتي، إذ مع أن خيوطاً من الفضة أخذت تختلط بخيوط الشباب السمراء في رأسي – إن لي عقلاً يغذي أعصابي ويجعلني أستطيع إصابة المرمى كالشباب أنفسهم. انظري هذا الرجل. وتنازلي بأن تمدي إليه يدك المباركة ليلمسها بشفتيه [قبلها أيها البطل] لقد حارب اليوم وكأن إلهاً كره العالم تشكل بشكله لينشر الدمار والهلاك.

كليوباترا: سأهدي إليك يا صديقي درعاً مصنوعاً جميعه من الذهب والفضة وقد كان لأحد الملوك.

أنطوني: إنه يستحقه حتى ولو كان مرصعاً بالعقيق كعربة إله الشمس.

هات يدك: دعنا نخترق الإسكندرية سائرين متئدين هادئين حاملين مجناتنا المفلولة ونسير بها الخيلاء كما يليق برجال حملوها واستعملوها استعمال الشجعان الباسلين، ولو أن في القصر متسعاً لحشدنا جميع هؤلاء الجنود فيه حتى نتعشى جميعاً معاً ونشرب نخب انتصارنا في معركة الغد التي ستكون حامية الوطيس كثيرة المخاطر.

أي نافخي الأبواق، انفخوا حتى تصموا آذان أهل المدينة واجعلوا هذه الأصوات تختلط بدق الطبول وتختلط أصداء هذه الأصوات جميعها بعضها ببعض وتبشر بقدومنا.

[يخرجون]

المنظر التاسع

معسكر قيصر، الحراس في مراكزهم

الجندي الأول: إذا لم يأت بديلنا هذه الساعة فلا مناص من العودة إلى ثكنة الحرس إن هذه الليلة مقمرة، ويزعمون أننا سنتأهب للقتال في الساعة الثانية صباحاً.

الجندي الثاني: إن اليوم المنقضي كان شؤماً علينا.

[يدخل إنوبربس]

إنوبربس: اشهد عليّ أيها الليل...

الجندي الثالث: أي رجل هذا؟.

الجندي الثاني: قف قريباً منه وأنصت إليه

إنوبربس: واشهد عليّ أيها القمر المبارك، عند ما يذكر أولئك الخونة عهودهم ومواثيقهم ويحتقرون احتقاراً مزرياً من جراء نكثها، تذكر أن إنوبربس التعس اعترف بخطئه أمامك.

الجندي الأول: إنوبربس.

الجندي: أنصت واستمر في السماع.

إنوبربس: أيها القمر الذي ينسب إلى تأثيرك أعمق الحزن وهو الجنون، أنزل على ماء مسموماً من السماء حتى تفارقني الحياة اللهم إلا

إذا كانت مستعصية على إرادتي، واقذف بقلبي على صور حظي وجلموده حتى يسحق ويصير هباء، ويقضي على كل أفكار السوء. يا أنطونيو، إن فضيحة خروجي عليك وشناعته أقل من كرم أخلاقك فاصفح عنى في قرارة نفسك، ولكن دع الدنيا عند ما تسجل أفعال أمثال هؤلاء المجرمين تدعني بالعاق لسيدة والفار من الحرب، وارحمتاه يا أنطوني! وارحمتاه!

[يموت]

الجندي الثاني: دعنا نكلمه.

الجندي الأول: فلننصت لأنه يقول شيئاً قد يمس قيصر.

الجندي الثالث: لا مانع لدي ولكنه قد نام.

الجندي الأول: لقد أغمى عليه، لأن لعنة كالتي صبها على نفسه لا تحدث النوم مطلقاً.

الجندي الثاني: فلنذهب إليه.

الجندي الثالث: استيقظ يا سيدي، استيقظ وكلمنا.

الجندي الثاني: هل تسمع يا سيدي؟

الجندي الأول: لقد اختطفته يد الموت [صوت طبول من بعيد] إن صوت الطبول يوقظ النوام فرحين، فلنحمله إلى ثكنة الحرس لأنه رجل ذو مكانة ولقد انتهت ساعة حراستنا.

الجندي الثالث: هيا إذن! لأن الحياة ربما عادت إليه.

[يخرجون ومعهم الجثة]

المنظر العاشر

بين المعسكرين

[يدخل أنطوني وسكارس مع جيشهما]

إنطوني: إنهم يستعدون للقتال في البحر! إذ لم يسرهم لقاؤنا في البر.

سكارس: هم يستعدون للمعركتين يا سيدي.

أنطوني: ليتهم يقاتلوننا في النار والهواء؛ فإننا على تمام الأهبة لملاقاتهم هناك أيضاً، ولكن أوامري هي أن نحتفظ بمركزنا على التلال المشرفة على المدينة، وقد أصدرت الأوامر للاستعداد للمعركة البحرية. ولقد أقلعوا بعيداً عن الشاطئ، فلنتقدم إذن حتى نطلع على عدتهم ونرقب هجومهم على الأسطول.

[يخرجون]

المنظر الحادي عشر

جزء آخر من الأرض بين المعسكرين

[يدخل قيصر وجيشه]

قيصر: سنبقى ساكنين في البر إلا إذا هوجمنا، وأظن أنا نستطيع ذلك؛ لأن أحسن جنودي ذهبت للأسطول، فتقدموا إلى الوديان، وهناك نرتب جنودنا ترتيباً في مصلحتنا.

[يخرجون]

المنظر الثاني عشر

جزء آخر من الأرض بين المعسكرين

[يدخل أنطوني وسكارس]

أنطوني: لم يلتحم الفريقان بعد، وسأقف عند شجرة الصنوبر هناك لأرقب كل شيء، وسأخبرك حالاً باحتمال مصير الأمور.

[يخرج]

سكارس: لقد بنت عصافير الجنة عشاشها في سفن كليوباترا، ولا يعلم العرافون ما ينبئ عنه هذا، ويقولون إنهم لا يستطيعون تأويله، وإنهم ينظرون مكتئبين ولا يجسرون على الإفضاء بعلمهم، على أن أنطونيو شجاع، ولكنه في لحظة يكون متفائلاً، وفي أخرى متشائماً، والوقت بين الفترتين وجيز، وإن حظه الممتزج فيه الخير والشر يبعث فيه الأمل بأن يستبقي ما في يده، ثم يجعله يقنط خوفاً من الشر الذي سينزل به.

[تنبيه من بعيد يسمع كأنه صوت موقعة بحرية]

[يعود أنطوني]

أنطوني: لقد خسرت كل شيء، وإن هذه المصرية القذرة قد تركتني، واستسلم أسطولي للعدو، وهناك أعدائي يقذفون بقبعاتهم إلى السماء سروراً وابتهاجاً، وسيلهون بالشراب وكأنهم أصدقاء اجتمعوا بعد فراق طويل.

إيه أيتها العاهرة الفاجرة! إنك أنت التي بعتني إلى ذلك الشاب، وإن قلبي ليس ثائراً إلا عليك دون غيرك. أخبر رجالي بأن يفروا جميعاً لأن أمرنا سينتهي بعد أن انتقم من ساحرتي وأشفي غليلي منها، فاذهب.

[يخرج سكارس]

أيتها الشمس لن أرى شروقك مرة أخرى إن حسن الحظ وأنطونيو قد افترقا هنا، ومع ذلك سأصافحك مصافحة الوداع. هل آل الأمر إلى هذا إن الذين كانوا يتبعونني بقلوبهم كظلي والذين منحتهم كل رغباتهم – يختفون الآن بعيدين عني ويتملقون قيصر الآخذ حظه في الصعود بألفاظهم الحلوة. وهذه الشجرة التي كانت تظلهم جميعاً تساقطت أوراقها وأصبحت عرضة للاضمحلال. وإني لا أشك في أن هذه المصرية الخائنة قد خدعتني، هذه الساحرة القاتلة التي كان مجرد نظراتها يدفعني إلى الحرب أو يدعوني إلى صدرها، والتي كان حبها أنبل مقصد في حياتي – قد مثلت معي دور (الغجرية) المتقلبة، فانخدع قلبي وخسرت كل شيء، يا إرس يا إرس.

[تدخل كليوباترا]

أيتها الساحرة اغربي عني!

كليوباترا: لماذا سيدي غاضب من حبيبته؟

أنطوني: اغربي وإلا قابلتك بما تستحقين وقتلتك حتى يحرم قيصر إظهار مجده بحملك معه في حاشيته عند ما يدخل روما، فليأخذك ويعرضك على أنظار الشعب الصاخب، ولتسيري في إثر مركبته كأنك

أكبر فضيحة لجنسك، ويسمح برؤيتك لمن يرغب فيها نظير دريهمات. وأكتافيا التي صبرت طويلاً متألمة ألماً شديداً ستخمش وجهك بأظافرها

[تخرج كليوباترا]

إن خروجك خير لك، لأنك لو بقيت لقتلتك، وإني أقول: "ربما كان من الخير أن تعيشي، ولو أنه في الحقيقة قد يكون خيراً من هذا موتك في أثناء غضبي، حتى لا تتحملي آلام الموت مرات كثيرة بسبب جبنك". يا إرس! لقد تسربلت رداء مسموماً، فعلمني يا هرقل وأنت سلفي غضبك لأستطيع قذف المرء حتى يصل إلى القمر، وبأيد كهذه التي تحمل أثقل العصى علمني كيف أقتل نفسي الباسلة التي هي من سلالتك!

ستموت الساحرة، لأنها قد باعتني لهذا الولد الروماني الصغير، وقد سقطت بفضل مؤازرتهما معاً، وستموت حتماً من أجل ذلك يا إرس!

المنظر الثالث عشر

قصر كليوباترا

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس ومرديان]

كليوباترا: الغوث يا نسائي! إنه أكثر جنوناً من ذلك البطل الذي فقد مجنه[٧]، وإنه يرغي ويزبد أكثر من أي وحش.

شرميان: إلى الهيكل! وهناك احبسي نفسك، وأرسلي من يخبره بأنك مت. إن نزع الروح من الجسم ليس أكثر فظاعة من انقشاع العظمة عن فرد تمتع بها أمداً طويلاً.

كليوباترا: هيا إلى الهيكل يا مرديان، اذهب وأخبره أني قتلت نفسي وقل له: إن آخر كلمة نطقت بها كانت: "أنطوني" واجعل وصفك مملوءاً بالأسى والحزن. هيا اذهب وارجع لتخبرني كيف أثر فيه خبر موتي. إلى الهيكل! لأنك تراني الآن أنطوني، ولكنك قد لا تستطيع رؤيتي كهذا الشبح الذي تخيلته يا خادمي. لقد خضت هذه المعارك من أجل كليوباترا، هذه الملكة التي ظننت أنني استوليت على نفسها لأنها خلبت لبي – ذلك اللب الذي تعلق به ألوف الألوف من القلوب، وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً بالحب – قد فقدته الآن، وهي يا إرس قد تآمرت هي وقيصر عليّ واختلست مني مجدي فانتصر عليّ عدوى، لا تبك يا إرس

(٧) المعرب: إشارة إلى أسطورة في حرب طروادة.

الشفيق فما زالت قوتنا باقية لدينا لننهي حياتنا بأيدينا.

[يدخل مرديان]

ما أخبث سيدتك! لقد سلبت مني سيفي.

مرديان: لا يا أنطوني إن سيدتي أحبتك وكان مصيرها مرتبطاً بمصيرك.

أنطوني: اغرب أيها الخصي الوقح! حقاً إنها خانتني وستموت ميتة الخائنات.

مرديان: إن الإنسان لا يموت إلا موته واحدة ولقد أنجزت ذلك، وما عزمت على المضي فيه نفذته هي بيدها، وكانت آخر كلمة نطقت بها: "يا أنطوني، يا أشرف الناس" ثم انتحبت انتحاباً شق صدرها وأخرس لسانها على حين كانت تلفظ اسماك، وقطعت شفتاها نصفه، أما النصف الآخر فنزل إلى قلبها وأسلمت الروح إلى خالقها واسمك في ثنايا صدرها.

أنطوني: هل ماتت إذن؟

مرديان: لقد ماتت.

أنطوني: اخلع عني لباس الحرب؛ لقد انتهى عمل اليوم الطويل، ويجب أن ننام [إلى مرديان] يجب أن تعد نفسك سعيد الحظ لتنجو بحياتك بعد أن جئت بمثل هذا الخبر فاذهب.

[يخرج مرديان]

اخلع، اخلع. إنه درع مصنوع من سبع طبقات، ولكنه مهما كان قوياً فإنه لا يقوى على مقاومة النبضات الشديدة المنبعثة من قلبي. أيتها الضربات شقي جنبي!، ويأيها القلب كن أقوى مما يحتويك وأكسر هذا القفص الضعيف. إليك عنى بعيداً! إليك عني يا إرس بعيداً! فلن أقاتل بعد، فاذهبي أيها العدة المحطمة، ولقد حملك نبيل. اتركني لحظة.

سألحق بك يا كليوباترا في الدار الآخرة، وأطلب منك الصفح بدموعي؛ إذ يجب أن أنهي هذه الحياة، لأن طولها بعد عذاب؛ فقد اختفى النور الذي كان يرشدني في خطواتي في الحياة، لذلك يجب أن أموت ولا أسير في الظلماء التي سببها اختفاؤه. والآن كل عمل خسران. وحقاً قد يسوء الحظ فتصبح هباء كل المجهودات المنتجة، وما نراه سبب النجاح قد لا ينشأ عنه إلا الخيبة والحرمان. فالواجب إذن أن أنهى كل شيء. إرس! إني قادم يا ملكتي! إرس! انتظريني وسنسير يداً بيد على شواطئ من الأزهار في جنات النعيم. وسيكون ابتهاجنا وحماستنا مما يجعل الأشباح تحملق فينا من الدهشة والإعجاب، وتلتف حولنا هاجرة المحبين الآخرين. تعال يا إرس! يا إرس.

[يعود إرس]

إرس: ما الذي يريده سيدي؟

أنطوني: بعد أن ماتت كليوباترا عشت مهدور الشرف حتى إن الآلهة نفسها تكره انحطاطي، أنا الذي قسمت الدنيا كما أردت وعلى ظهر المحيط قدت السفن العظيمة التي كان اتساعها كافياً لإيواء مدينة

بأسرها، ولا أحط بنفسي بأن أكون أقل شجاعة من امرأة أو أقل شرفاً منها، تلك التي تقتل نفسها قد هزأت بقيصر وكأنها تقول له: إن نفسها هي التي انتصرت على نفسها. يا إرس، لقد آليت على نفسك أنك عند ما تدعو الحاجة الملحة – وهي الآن تدعوك – وعند ما أرى العار والفضيحة تتبعني حتى لا أستطيع الانفكاك عنها أو الإفلات منها – آليت على نفسك أنك ستقتلني طوع أمري، فنفذ هذا الأمر الآن؛ فلقد حان الوقت. وإنك لا تضربي بل تخذل قيصر، فهيا شد أزرك ولا تتخاذل ونفذ.

إرس: فلتمنعني الآلهة! هل أفعل ما عجزت عنه أسلحة أهل برثيا الذين كانوا أعداءك، ومع ذلك أخطئوا المرمى ولم يصيبوك؟

أنطوني: هل تريد أن تقف في نافذة في روما العظيمة وترى سيدك مكفوف الأيدي منحني الرأس من الإذلال والخضوع ووجهه ينم عن الذل العميق الذي نفذ فيه في حين يركب قيصر ذو الحظ العظيم مركبة فخمة وكأنها تدمع من يتبعها بوصمة العار والفضيحة!

أرس: لا أود أن أرى هذا.

أنطوني: هيا إذن؛ فإن العار الذي لحقني لا يغسله إلا دمي. أخرج سيفك الشريف من غمده، ذلك السيف الذي طالما كان مفيداً لمملكتك.

إرس: سيدي أعفني من هذا.

أنطوني: عند ما عتقتك ألم تقسم لي بشرفك أنك ستفعل هذا الأمر متى أمرتك؟ فافعله الآن وإلا كانت خدماتك التي أديتها لي غير

مقصودة، وإنما أتت عفواً بدون إرادتك فجرد السيف وتعال.

إرس: أدر وجهك عني، ذلك الوجه الوقور الذي لا يقابل إلا بكل إعظام وإجلال.

إنطوني: (يدير وجهه عنه) ها هو ذا انظر.

إرس: لقد سللت سيفي.

أنطوني: اجعله يفعل ما سللته من أجله.

إرس: يا قائدي، يا إمبراطوري، دعني أودعك قبل هذه الضربة الدامية.

أنطوني: هأنذا قد أجبتك و إني أودعك.

إرس: أودعك أيها الرئيس العظيم. هل أضرب الآن؟

أنطوني: الآن يا إرس.

إرس: ها هو ذا ما أنا فاعل (يقتل نفسه) وهذا ما أفعل لأفر من حزني على موت أنطوني.

أنطوني: إيه يا من هو أشرف مرات أكثر مني! لقد علمتني ما يجب عليّ عمله مما لا تستطيعه أنت. إن ملكتي وإرس قد اكتسبا مركزاً أعلى مني في تاريخ الأعمال المجيدة، وذلك بالشجاعة التي ضربا بها المثل لي، ولكني سأموت بقلب مفعم بالسرور كالعروس مثل قلب إرس،

وسأسارع إليه وكأني أسارع إلى فراش الحبيب. هيا إذن، سأكون يا إرس أنا الذي كنت رئيسك تلميذك في الموت، وأفعل هكذا (يقع على سيفه) كما علمتني كيف! ألم أمت؟ ألم أمت؟ أيها الحارث، أجهز عليّ.

[يدخل دركتس والحراس]

الحارس الأول: ما سبب هذه الضوضاء؟

أنطوني: لقد أسأت عملي يا رفاق فأرجوكم أن تنهوا ما بدأت.

الحارس الثاني: لقد أفل النجم.

الحارس الأول: وانتهى بذلك كل شيء.

الجميع: وا أسفاه وا مصيبتاه!

أنطوني: أرجو ممن يحبني أن يجهز عليّ.

الحارس الأول: لست أنا.

الحارس الثاني: ولا أنا.

الحارس الثالث: ولا أي شخص آخر

[يخرج الحراس]

دركتس: إن موتك وما أصابك من سوء الحظ يحمل أتباعك على الفرار ولو أريت هذا السيف لقيصر وأخبرته بما حصل لتيقنت حظوتي لديه ورعايته لي.

[يدخل دميدس]

ديميدس: أين أنطوني؟

دركتس: هناك يا ديميدس هناك.

ديميدس: أحي هو؟ ألا تجيبني يا رجل؟

[يخرج دركتس]

أنطوني: هل أنت هنا يا ديميدس؟ سل سيفك واطعني طعنات كافية للقضاء عليّ.

ديميدس: يا سيدي الأوحد، لقد أرسلتني سيدتي كليوباترا إليك.

أنطوني: متى أرسلتك؟

ديميدس: الآن يا سيدي.

أنطوني: أين هي؟

ديميدس: مسجونة في هيكلها، ولقد شعرت بنذير سوء أنبأها بما حصل؛ لأنها عندما علمت أنك تسيء الظن بها وترميها بأنها تواطأت هي وقيصر عليك [مع أن هذا الظن لا أساس له من الصحة]، وأن غضبك لم يهدئ ثورته احتجاجها عليك – عند ما علمت كل هذا أرسلت من ينبئك بموتها غير أنها خافت بعد ذلك تأثير هذا النبأ في نفسك فأرسلتني لأخبرك بالحقيقة، ولكني أخشى أن أكون حضرت بعد فوات الأوان.

أنطوني: لقد سبق السيف العذل! يا دميدس أرجو منك استدعاء حراسي.

ديميدس: يا رجال حرس الإمبراطور، أيها الحراس، هيا أقبلوا سيدكم يطلبكم.

[يدخل أربعة جنود أو خمسة من حرس جنود أنطوني]

أنطوني: احملوني يا أصدقائي الطيبين إلى مسكن كليوباترا، وإنها الآخر خدمة أطلبها منكم.

الحارس الأول: الويل ثم الويل لنا إذا لم تعش حتى تنقضي أيام أتباعك المخلصين.

الجميع: ما أسوأه من يوم!

أنطوني: لا يا زملائي الطيبين، لا ترضوا الحظ القاسي بأن تقدموا له شيئاً قيماً كأسفكم، وإذا رحبنا بما يأتي لنا بقصد الإساءة إلينا فإنا نحرمه لذة الترضيّ إذا ظهرنا بمظهر المزدرى له. احملوني. وجزاء لي على قيادتكم في معارك كثيرة – أطلب إليكم أن تحملوني، وأن تقبلوا شكري على ما أديتموه لي من خدمات.

[يخرجون حاملين أنطوني]

المنظر الرابع عشر

هيكل بقصر كليوباترا

[تدخل كليوباترا وخادمتها من أعلى الهيكل ومعها شرميان وإراس]

كليوباترا: يا شرميان لن أدخل من هنا؟

شرميان: خففي عنك يا سيدتي العزيزة.

كليوباترا: لا، لن يكون ذلك. سأرحب بكل الحوادث الغريبة والفظيعة، وأحتقر المواساة، وإن الحزن الذي أشعر به عظيم قدر الذي سببه، ولا بد أن يظهر ذلك الحزن بهذا القدر.

[يدخل دميدس]

ما الخبر؟ هل مات؟

ديميدس: إنه مشرف على الموت، ولم يمت بعد، فانظري إليه من الجهة الأخرى من الهيكل فلقد أحضره حراسه هناك.

[يدخل أنطوني يحمله الحراس]

كليوباترا: أيتها الشمس احرقي مدارك الذي تسيرين فيه، واجعلي شواطئ العالم وما بها من مناظر مختلفة ظلاماً في ظلام، وا أنطونياه! وا أنطونياه! وا أنطونياه! المعونة يا شرميان! المعونة يا إراس! المعونة أيها الأصدقاء! هيا نحمله ونأت به إلى هنا.

أنطوني: خففي من الحزن الشديد؛ فلم تقهر شجاعة قيصر أنطوني، ولكن شجاعة أنطوني هي التي غلبت نفسها!

كليوباترا: نعم يجب ألا يقهر أنطوني غير أنطوني نفسه، ولكن ويل لنا من ذلك.

أنطوني: إني سائر إلى الموت يا ملكة مصر، وإني لا محالة ميت، ولا أطلب من الموت إلا أن يمهلني قليلاً حتى أقبلك ألف قبلة هي آخر ما أضع على شفتيك.

كليوباترا: لا أجرؤ، لا أجرؤ يا سيدي العزيز – أن أنزل إليك مخافة أن أؤسر؛ إذ لا يمكن أن أزين حفل دخول قيصر روما منتصراً بأن أكون في حاشيته، وما دام للسكين حد، وللعقاقير تأثير وللأفاعي لدغ – فإني سأكون في أمن منه، وإن زوجتك أكتافيا ذات العينين المتواضعتين والنظرات الثاقبة – لن أمتع ناظريها باحتقاري وذلي، ولكن هيا هيا يا أنطوني، يجب أن نرفعك إلى هنا، وأنتن يا نسائي ساعدنني في ذلك، وعاونوا أيها الأصدقاء الطيبون.

أنطوني: أسرعوا وإلا مت.

كليوباترا: هذا جهد مضن. ما أثقل وزنك يا سيدي، وإن حزننا العظيم قد استنفد كل قوانا وأضعف جهدنا ولو أن لي قوة ملكة السماء لرفعتك إليّ بسرعة عطارد ذي الأجنحة القوية رسول الآلهة، وأجلستك بجوار إله الآلهة، ومع ذلك تعال قليلاً؛ لأن مجرد الرغبة بدون جهد لا فائدة منها، تعال؛ تعال، تعال، تعال.

[يرفعون أنطوني إلى كليوباترا]

ومرحباً، ومرحباً، من حيث الحياة الحقيقية، ولتنعش نفسك بتقابل شفتينا، ولو أن لشفتي القدرة على إعادة الحياة إليك لبريتها من كثرة تقبيلي لك.

الجميع: إنه لمنظر ثقيل على النفس.

أنطوني: إني أموت يا كليوباترا، أموت فأعطني قليلاً من الخمر؛ ودعيني أتكلم قليلاً.

كليوباترا: لا؛ دعني أنا أتكلم، ودعني ألعن بأشنع الألفاظ تلك العجوز الشمطاء التي تغزل خيوط الحظ الخداع، والتي ستغضب من سبي لها، وتنفث غضبها في منزلها وتكسره

أنطوني: كلمة واحدة يا ملكتي الجميلة: اصطلحي أنت وقيصر؛ فهو وحده الذي يستطيع المحافظة على شرفك وشخصك.

كليوباترا: هذان الشيئان لا يتفقان؛ فإذا اهتممت بأمر شخصي فقدت شرفي.

أنطوني: اسمعي أيتها اللطيفة، ولا تثقي بمن حول قيصر إلا ببروكليس

كليوباترا: سأعتمد على عزمي ويدي ولا أعتمد على شخص ما حول قيصر.

أنطوني: لا تندبي التغيير التعس بسبب موتي، ولا تحزني بسببه،

فلك سلوى بذكرياتي السابقة وما كان فيها من حياة موفقة سعيدة، تمتعت بها؛ إذ كانت حياتي أعظم وأشرف من حياة سائر أمراء العالم، وإني الآن لا أموت ميتة مرذولة خاضعاً خضوع الجبان لمواطني قيصر، بل رومانياً شجاعاً قهره روماني آخر. إن روحي آخذة في الصعود إلى بارئها وقد فقدت قواي.

كليوباترا: يا أشرف الرجال، هل ترغب في الموت؟ هل تطيق أن تتركني وحيدة بدون من يحميني؟ وهل أقيم في هذه الدنيا الكئيبة التي لن يكون حظي فيها عند غيابك أحسن من حظ الخنازير؟ هيا، انظرن يا نسائي [أنطوني يموت] إن تاج الأرض يتهدم، وا سيداه! يا من كان زينة الحرب ومجدها، لقد هوى علم الأبطال وأصبح الأولاد والبنات في مستوى واحد مع الرجال! ولقد رحل أعجوبة الدهر، ولم يبق أي شيء يستحق رؤية القمر عند طلوعه على الدنيا.

[يغمى عليها]

شرميان: صبراً وهدوءاً يا سيدتي.

إراس: لقد ماتت ملكتنا أيضاً.

شرميان: سيدتي!

إراس: سيدتي!

شرميان: يا سيدتي، يا سيدتي، يا سيدتي!

إراس: يا كليوباترا، يا ملكة مصر، يا إمبراطورة!

شرميان: اهدئي، اهدئي، يا إراس.

كليوباترا: إني لست الآن إمبراطورة، ولكن مجرد امرأة معرضة للآلام التعسة المزرية التي تتعرض لها الفتاة القروية التي تعمل أحقر الأعمال وأثقلها إنه يليق بي أن أقذف بصولجاني في وجه الآلهة الحقودين قائلة لهم: إن هذه الدنيا كانت على قدم المساواة مع دنياهم حتى سرقوا جوهرتي التي أصبح بعدها كل شيء هباء. والصبر لا يليق إلا بالمجانين والجزع يلائم الكلب الكلب؛ إذن: هل من الحزم أن يخترق المرء بعنف طريقه إلى مورد الموت الزؤام قبل أن يجرؤ هذا الموت ويأتي إليه؟ ما الذي يؤلمكن يا نسائي؟ لا تظهرن بهذا المنظر التعس، وكن باشات. ماذا حصل يا شرميان ويا فتياتي الشريفات؟ أيتها النسوة. أيتها النسوة انظرن فقد نفد زيت القنديل وانطفأ نوره. يا سيداتي تشجعن، هيا لندفنه ثم نقتدي بالعادة الرومانية ونحذو حذو الشجعان الشرفاء الذين يقتلون أنفسهم عند ما تصبح حياتهم لا تستحق البقاء، وبذا نجعل الموت فخوراً باقتناصنا، هيا؛ لأن هذا الجسم الذي كانت تدب فيه الروح أصبح جثة هامدة، يا نسائي يا نسائي هيا، نعم لم يبق لنا أصدقاء سوى الشجاعة الصادقة التي تسرع فتنهي متاعبنا.

[يخرجون حاملين جثة أنطوني]

الفصل الخامس

المنظر الأول

الإسكندرية، معسكر قيصر

[يدخل قيصر وأجربا ودلابلا ومسيناس وجلاس وبركبليس وغيرهم من أعضاء مجلس حرب قيصر]

قيصر: اذهب إليه يا دلابلا ومره أن يسلم لأنه قد هزم عزيمة منكرة. وإن تردده في التسليم لنا ليس إلا سخرية،

دلابلا: سأفعل يا قيصر.

[يدخل دكراتس ومعه سيف أنطوني المخضب بالدماء]

قيصر: لقد تجرأت بالدخول علينا به.

دكراتس: إن اسمي دكراتس ولقد كنت في خدمة أنطوني وهو أحسن من يخدم. وعند ما كان حياً كان سيدي، ووقفت حياتي على إهلاك أعدائه، فإذا تفضلت وضممتني تحت لوائك فسأكون مخلصاً لك كما كنت له، أما إذا رفضت فإني أسلم نفسي لك.

قيصر: ما الذي تقول؟

دكراتس: إن أنطوني قد مات.

قيصر: إن هلاك رجل عظيم كهذا كان من الواجب أن تتبعه رجة عنيفة، وإن الأرض في دورتها كان يجب أن تقذف بالسباع الحية من

عرينها إلى الشوارعِ المأهولة، وبالرجال إلى مأوى الأسود. ولعمري إن موت أنطوني ليس موت فرد بل مصيبة حلت بنصف العالم.

دكراتس: لقد مات يا قيصر، ولم يقتله فرد مكان تنفيذ القتل في الناس ولا يد مأجورة للقضاء عليه ولكنه قضى على نفسه بيده، تلك اليد التي أكسبته فخراً بعملها، والتي استمدت شجاعتها من قلبه – هي هي التي قد مزقت ذلك القلب!! وهذا هو سيفه، وقد نزعته من جرحه. انظر فإنه مخضب بدمائه الطاهرة.

قيصر: يا للأسى أيها الأصدقاء على نقمة الآلهة إن لم أشعر بأن أخباراً كهذه توجب ذرف الدموعِ من أعين الملوك.

أجربا: من الغريب أن إحساسنا الطبيعي يضطرنا لأن نأسى على أعمالنا التي بذلنا أقصى جهودنا في إنجازها.

مسيناس: لقد كانت صفاته الطيبة وعيوبه متعادلة.

أجربا: إن وجود روحٍ كروحه لترشد الإنسان في الحياة أندر من أن توجد، وإن الآلهة لتبث فينا بعض النقائص حتى لا نكون على قدم المساواة معها. لقد تأثر قيصر!!



مسيناس: عندما توجد أمامه مرآة متسعة كهذه لا مناص من أن يرى نفسه فيها.

قيصر: هل اقتفيت أثرك يا أنطوني لأصل إلى نتيجة كهذه!!

ولكنا قد نبث الأمراض في أجسامنا. وهل قدر لنا: إما أن تراني وقد أفل نجم عظمتي!، وإما أن أنظر إليك وأنت على هذه الحالة! لقد كان من المستحيل أن يعيش كلانا هادئاً، كل واحد بجانب الآخر في

الدنيا، على أني مع ذلك لا مناص من أن أبكيك بدموع ليست أقل شرفاً من دم القلوب؛ لأنك أخي ومنافسي في شرف المقصد وزميلي في حكم الإمبراطورية، يا أصدقائي ورفاقي، عند التعرض للأخطار، إن ذراعي وقلبي تلهبهما هذه الأخطار وتدفع بنا إلى النهاية المحتومة مع أننا كنا أصدقاء على ما بيننا من البعد العظيم، ولكني سأزيدكم على هذا في وقت أكثر ملاءمة.

[يدخل مصري]

إن عظم ما يحمله هذا المرء من نبأ ظاهر على محياه فلنصغ إلى ما يريد قوله. من أنت؟

المصري: مصري من عامة الشعب. إن الملكة سيدتي التي سجنت نفسها في كل ما بقى لها من الملك وهو هيكلها تريد أن تتلقى تعليماتك حتى تستطيع إعداد نفسها لما يلائم الحالة التي اضطرتها إليها الظروف.

قيصر: قل لها أن تتشجع، وستعرف على لسان رسولي أغراضي النبيلة نحوها والمعاملة الحسنة التي ستلقاها مني إذ يستحيل عليّ إلا أن أكون رفيقاً مهما طالت حياتي.

المصري: فلترعك الآلهة.

قيصر: تعال هنا يا بركليس. اذهب وأخبرها بأنا لا نريد أن نصمها بوصمة العار، وواسها وعدها بكل شيء يخفف عنها حزنها، لئلا يؤثر ذلك الحزن في نفسها العظيمة، فيدفعها إلى القضاء على حياتها، وبذلك تفوّت علينا الوصول إلى غرضنا بأن نأخذها لروما حية لتكون تذكاراً دائماً

لشرف انتصارنا، فاذهب مسرعاً وعد لتخبرني بما تقوله ونبئني بحالتها.

بركليس: سأفعل يا قيصر.

[يخرج]

قيصر: واذهب أنت أيضاً يا جلس لمعاونته (يخرج جلس) أين دلابلا؟

الكل: يا دلابلا.

قيصر: اتركوه وشأنه لأني أذكر الآن المهمة التي كلفها، وسيكون مستعداً في الوقت المناسب. تعال معي إلى فسطاطي لأعرض عليك الأسباب الملحة التي دفعتني إلى هذه الحرب وكيف كانت رسائلي له هادئة وليس فيها ما يثيره وكيف كان يسرني أن لو استطعت مجانبتها.

المنظر الثاني

الإسكندرية، حجرة في الهيكل

[تدخل كليوباترا وشرميان وإراس]

كليوباترا: إن حالة ترملي الموحشة ما هي إلا مقدمة لما يجعلني أرحب بحياة أقل تعاسة منها، إنه لشيء ضئيل أن يكون الإنسان إمبراطوراً، إذ ما هو إلا خادم الحظ والمنفذ لإرادته، وإنه لأمر عظيم أن يقوم المرء بعمل حاسم يقضى على الأعمال الأخرى [أي يقتل نفسه]، وينام نوماً أبدياً ولا يذوق الطعام الذي يتمتع به الغني والفقير على السواء.

[يدخل إلى أبواب الهيكل بركليس وجلاس وجنود]

بركليس: يرسل قيصر تحياته إلى ملكة مصر ويريد أن تتدبري بروية، فيما يرضيك من الرغبات، وهو على استعداد لإجابتها.

كليوباترا: ما اسمك؟

بركليس: اسمي بركليس.

كليوباترا: لقد ذكرك أنطوني لي وأمرني أن أثق بك، ولكن مثلي التي لم تكسب شيئاً من الناس لا يهمها إذا خدعت، فإن كان سيدي يريدني أن أكون متضرعة له يجب أن تقول له: إن الملكة لكي تظهر بالمظهر

اللائق بها لا تتوسل إليه إلا أن يكون لها مملكة، فإذا سمح ومنحني ملك مصر المهزومة لابني – وهو في هذا لا يعطيني إلا ما هو لي – فإني أشكره كل الشكر بخضوع.

بركليس: سرى عنك، لقد وقعت في يد نبيلة فلا تخشى سوءاً، ولا ترددي في أن تطلبي ما تريدين بمطلق الحرية والصراحة من سيدي العطوف الذي عم عطفه كل من هو في حاجة إليه، فاسمحي لي أن أنقل إليه أنك تعتمدين عليه اعتماداً كله طمأنينة، وستجدين أنه ليس مهتماً بأن يظهر عطفه نحوك فحسب، بل يسره أن تقترحي عليه ما يزيد هذا العطف.

كليوباترا: أرجوك أن تخبره أني خادمة حظه، وأني أعترف له خاضعة بالغلبة، وأني في كل لحظة أتذكر لفروض الطاعة ويسرني أن أقابله وجهاً لوجه.

بركليس: سأنقل إليه هذا يا سيدتي العزيزة وكوني ناعمة البال، فإن حظك السيئ يواسيك فيه من كان سببه.

جلاس: ترى كيف تسهل مفاجأتها؟

[عند هذا يصعد بركليس واثنان من الحراس إلى الهيكل بوساطة سلم على نافذة، يقفون خلف كليوباترا]

[ويشد بعض الحراس مزاليج الأبواب ويفتحونها]

[إلى بركليس والحراس] احرسوها حتى يحضر قيصر.

إراس: وا ملكتاه!

شرميان: لقد أسرت يا كليوباترا.

كليوباترا: هيا أسرعن، أسرعا أيها اليدان الطيبتان!

[تستل خنجراً]

بركليس: أمسكي أيتها السيدة النبيلة أمسكي [يقبض على يدها ويأخذ منها الخنجر] لا تقترفي إثماً بقتل نفسك، فإن ما عمل كان لراحتك لا لخيانتك.

كليوباترا: ويحي!! أأحرم الموت كعلاج! هذا العلاج الذي يريح الكلاب الضالة من المرض العضال المزمن.

بركليس: أي كليوباترا، لا تزري بكرم سيدي بالقضاء على حياتك ودعي العالم ير كرمه ظاهراً بمظهره الحسن، ولا يكون موتك سبباً في القضاء عليه.

كليوباترا: أين أنت أيها الموت؟ تعال هنا، تعال، تعال، وأنقذ ملكة تستحق منك تخليصها من متاعبها أكثر من الأطفال والشحاذين الذين تريحهم من آلامهم.

بركليس: هدئي روعك يا سيدتي.

كليوباترا: سيدي لن آكل اللحم أو أستنشق الهواء، وإذا كان من المستطاع أن أقضي الليل في هزء القول فلن أنام أيضاً. إني سأدمر هذا البناء الفاني مهما أجهد قيصر نفسه في منعي فاعلم يا سيدي أني لن

أكون أسيرة قيصر سيدك ولا أرضى أن ترمقني أكتافيا شزراً بعين ملؤها الاحتقار، ولاسيما أن نفسي لا تطيب بأن أعرض على غوغاء روما الساخرين المستهزئين. إنه لخير لي من ذلك أن أواري في حفرة في مصر لأنها تكون أرحب صدراً بي، أو أرمي على وحل أرض مصر عارية ويهبط على جسمي الذباب حتى يصبح هذا الجسم جيفة قذرة، أو أشنق على سفح الأهرام العالية وأعلق عليها مصفدة بالسلاسل والأغلال.

بركليس: إنك تصورين لنفسك فظائع ليس لديك من الأسباب ما يحملك على الخوف منها على يدي قيصر.

[يدخل دلابلا]

دلايلا: ما فعلته يا بركليس يعلمه سيدك قيصر وقد أرسل في طلبك وسأتولى أنا حراسة الملكة.

بركليس: إن هذا يرضيني يا دلابلا أكثر الرضا فكن رفيقاً في معاملتها [إلى كليوباترا] سأخبر قيصر بما تريدين إذا رضيت أن أكون سفيراً لديه عنك.

كليوباترا: قل له إني أرغب في الموت.

[يخرج بركليس والجنود]

دلابلا: يا أشرف الملكات هل سمعت عني؟

كليوباترا: لا أذكر.

دلابلا: من المؤكد أنك تعرفيني.

كليوباترا: لا تهمني معرفتك أو السماع عنك. أليس من عادتك تفسير رؤيا الأولاد والأطفال عند ما يذكرونها لك؟

دلابلا: لا أفهم ما تقصدين يا سيدتي.

كليوباترا: لقد رأيت فيما يرى النائم أنه كان هناك إمبراطور يدعى أنطونيو، وليت لي سباتاً آخر أرى فيه رجلاً آخر مثله.

دلابلا: أرجوك يا سيدتي...

كليوباترا: كان وجهه كالسماء التي بها شمس وقمر يسيران في مجراهما ويضئيان العالم.

دلابلا: يا أنبل السيدات.

كليوباترا: كان ذا نفوذ واسع وكانت ذراعه القوية كهامة الدنيا، وقد وهبه الله صوتاً موسيقياً له من الرنة والنغم ما يهز مشاعر العالم. هذا كان شأنه مع أصدقائه، أما مع أعدائه فإن صوته كان كالرعد يهزهم هزاً عنيفاً، وكأني به يزلزل الأرض؛ ولم يكن قط شحيحاً في عطائه، بل كان هذا العطاء كنبت الخريف لا يكاد يجتث حتى يعود فينبت من جديد، وكان في مسراته مرحاً مثل جان البحر التي ينبعث سرورها فيظهر على سطح الأعماق التي هي بها، وكان يقوم بخدمته الملوك وأتباعهم وكانت أقطارهم وجزائرهم كثيرة، وقد بلغ من كثرتها أنه كان يهبها كما يهب غيره النقود الفضية.

دلابلا: وي لكليوباترا!

كليوباترا: هل تظن أنه يحتمل أن يكون هناك رجل مثل الذي رأيت في أحلامي؟

دلابلا: يحتمل، يا سيدتي اللطيفة.

كليوباترا: أنت كاذبة، ويكاد كذبك من فظاعته يرقى إلى مسامع الآلهة؛ إذ من المحال أن يوجد رجل مثله، ولا يمكن أن يحلم به، فالطبيعة لا تملك المادة التي تخلق منها ما ينافس ما يتصوره غريب الخيال، على أن الطبيعة إذا أمكنها أن تخلق مثل أنطوني فإنها تخلق رجلاً مهما كان فوق تصور الخيال – لا بد أن يكون أقل من أنطوني.

دلابلا: أصغي إليّ يا سيدتي الطيبة، إن خسارتك مثل قدرك كبيرة، وإنك تنوئين بحملها على قدر وزنها، وإني أدعو ألا يصادفني النجاح في أي أمر يعنيني شأنه إذا كان حزنك لا يؤثر فيّ تأثيراً يصل إلى أعماق قلبي.

كليوباترا: شكراً سيدي، هل تعرف ما يعزم قيصر على عمله معي؟

دلابلا: إني لأكره أن أخبرك بما تودين معرفته.

كليوباترا: إني أرجوك يا سيدي.

دلابلا: ولو أنه رجل شريف....

كليوباترا: إنه يود إذن أن يعرضني على الأنظار دليلاً على انتصاره.

دلابلا: نعم يا سيدتي وإني واثق من ذلك.

[ترنيم من الأبواق وأصوات من الداخل: افسحوا لقيصر]

[يدخل قيصر وجلاس وبركليس ومسيناس وسلكيس من حاشيته]

قيصر: أيتكن ملكة مصر؟

دلابلا: إنه الإمبراطور يا سيدتي [كليوباترا تركع]

قيصر: ترجلي، إنك لن تركعي، أرجوك أن تقومي، قومي يا ملكة مصر.

كليوباترا: هذه هي إرادة الآلهة، وإني لا بد لي من أن أخضع لسيدي وأطيعه.

قيصر: لا تتصوري أن يقصد بك السوء، وأية إساءة صدرت منك إلينا سأذكرها على شدتها أنها صدرت من غير قصد.

كليوباترا: يا حاكم العالم الوحيد، لا يمكن أن أدافع عن نفسي بأية وسيلة تبرئني من اللوم، ولكني أعترف أن عبئي من النقائص التي تشين بنات جنسي ثقيل.

قيصر: اعلمي يا كليوباترا أني قد جئت لأخفف ما بك ولألتمس لك العذر، لا أن أعاقبك، فإذا وافقت على ما أنويه نحوك – وهي نوايا بالغة منتهى العطف – فإنك ستجدين سوء حظك، وقد انقلب سعادة ونعمة عليك، ولكنك إذا صممت على أن تنسبي إلى القسوة، واتخذت سبيل أنطوني وانتحرت – فإنك لا تحرمين نفسك أغراضي النبيلة فحسب، بل تعرضين أطفالك للهلاك الذي لا أريده لهم.

أستودعك الله.

كليوباترا: إنك تستطيع السير في الدنيا كلها من طرف إلى طرف، وما نحن إلا أمارات عظمتك، ولا نقيم إلا حيث يطيب لك. هاك يا

سيدي الشريف...

قيصر: وسأنفذ رغباتك على حسب ما تشائين.

كليوباترا: هاك بياناً مختصراً بمقدار المال والذهب والجواهر في خزائني، وكلها مقدرة تقديراً مضبوطاً بحسب قيمتها، ولم أدرج في بيان الأشياء التافهة. أين سلكيس؟

سلكيس: طوع أمرك يا سيدتي.

كليوباترا: هذا هو خازن بيت مالي فمره أن يخبرك هل حجزت لنفسي شيئاً؟ تكلم الصدق يا سلكيس.

سلكيس: خير لي يا سيدتي أن يخرس لساني من أن أتكلم بغير الحقيقة وأعرض نفسي للخطر.

كليوباترا: ما الذي حجزته لنفسي؟

سلكيس: حجزت مقداراً كافياً لمشتري أشياء بقيمة تلك التي أظهرتها

قيصر: لا تخجلي يا كليوباترا فإني أقرك على ما فعلت.

كليوباترا: تأمل يا قيصر وانظر كيف يسير الناس في ركب العظمة.

إن عظمتي قد آلت إليك، ولو انعكست الآية لأصبح حظك حظي. لقد جن جنوني من نكران هذا الرجل سلكيس للجميل، واهاً لك أيها الرقيق الذي لا يوثق به كما لا يوثق بالحب المتصنع [تتقدم لتضربه] ماذا؟ هل ترتد إلى الوراء! أقسم أنك على أهبة هجراني، ولكني سأراقبك

ولن تفلت مني، ولو كانت لك أجنحة. يأيها العبد، ويأيها الكلب الشرير الخبيث عديم الإحساس البالغ غاية الدناءة.

قيصر: أيتها الملكة الطيبة إني أتوسل إليك.

كليوباترا: ما أقسى هذا الخزي العميق! إنك قد تنازلت وزرتني، وفي أثناء تشريف عظمتكم لشخصي الضعيف يتقدم خادمي ويزيد في فضيحتي بحقده، فلنفرض يا قيصر أني حجزت لنفسي بعض الأشياء التافهة التي لا قيمة لها إلا في نظر النساء، ولنفرض أني حجزت أشياء قيمة لأتقدم بها إلى ليفيا زوجتك وأكتافيا أختك لأغريهما بالتوسل لي عندك، فهل يليق أن يفتضح أمري على يد رجل ربيته، رجل مدين بحياته لي؟ فلتسحقني الآلهة وتنزل بي إلى درك أسفل مما أنا فيه! [إلى سلكيس] أرجوك أن تعزب و إلا صببت عليك سوط عذابي. ولو كنت رجلاً شريفاً لأشفقت عليّ وما فضحتني كما فعلت.

قيصر: انسحب يا سلكيس [يخرج سلكيس].

كليوباترا: اسمعوا وعوا: إننا أعظم العظماء يساء الحكم علينا بما يفعله الآخرون، وعند ما نسقط نعاقب شخصياً من أجل أفعال الآخرين، ونستحق لذلك المواساة.

قيصر: يا كليوباترا إني لا أعد من حقي بوصفي غازياً أن استولى على الأشياء التي اعترفت بها، أو الأشياء التي حجزتها فكلها ملكك تتصرفين فيها كما تشائين وثقي أن قيصر ليس وغداً يحاول أن يزيد ثروته بالتجارة بعد أن ملك أمرك، فأرجوك أن تسرى عنك ولا تظني نفسك

أسيرة وأنت في الحقيقة طليقة. يا سيدتي الملكة لقد عزمت على أن أعمل ما فيه رضاك على حسب مبتغاك، فكوني مطمئنة البال هادئة الخاطر وإنا سنعني بأمرك ونشفق عليك حتى تستبقى صداقتك والآن أستودعك الله.

كليوباترا: سيدي وعاهلي!

قيصر: ليس الأمر كذلك وداعاً.

[ترنيم من الأبواق. يخرج قيصر وحاشيته]

كليوباترا: إنه يتملقني ليحاول إقناعي أيتها الفتيات، يحاول إقناعي حتى لا أكون مخلصة لنفسي، ولكن أصغي إليّ يا شرميان.

[تهمس في أذن شرميان]

إراس: انتهى يا سيدتي النبيلة، فلقد انقضى يومنا المضيء ونحن سائرون إلى حياة الظلام.

كليوباترا: اذهبي مرة ثانية، ولقد أصدرت أوامري في هذا الموضوع فاذهبي ورتبيه على عجل.

شرميان: سأفعل ذلك يا سيدتي.

[يعود دلابلا]

دلابلا: أين الملكة؟

شرميان: ها هي ذي يا سيدي.

كليوباترا: دلابلا!

دلابلا: يا سيدتي امتثالاً لأوامرك التي أعتبر إطاعتها أمراً مقدساً أخبرك أن قيصر ينوي الرحيل إلى سوريا، وسيرسلك وأولادك قبله. فتدبري في الأمر بما تقتضيه مصلحتك، ولقد نفذت أمرك وبررت بوعدي.

كليوباترا: سأظل مدينة لك بجميل الولاء والوفاء.

دلابلا: إني خادمك. وداعاً يأيتها الملكة الطيبة. لأنه يجب أن أكون في معية قيصر.

كليوباترا: وداعاً وأشكرك.

[يخرج دلابلا]

والآن يا إراس ماذا تظنين؟ إنك ستعاملين كدمية مصرية وتعرضين في روما مثلي، وستحملين على أكتاف عبيد سفلة قذري الملابس، ومعهم مطارقهم ومساطرهم، وسنشم رائحة طعامهم المرذولة، ونستنشق رائحتهم الخبيثة.

إراس: معاذ الله.

كليوباترا: لا شك في ذلك يا إراس وسيعاملنا خدم رجال القضاء معاملة الفاجرات، وسينظم فينا الأهالي الأغاني والأناشيد الرديئة النغم، وسيؤلف كتبة المسرحيات المضحكة مسرحية يشرحون فيها ملاهينا بالإسكندرية ويمثلونها، وسيمثلون أنطوني كرجل سكير، وستمثل عظمة

كليوباترا بولد صغير يصرخ ويصرصع.

إراس: فلتحفظينا أيتها الآلهة الكريمة!

كليوباترا: هذا أمر مؤكد.

إراس: لن أرى ذلك لأني واثقة من أني قادرة على وضع حد لحياتي هذه هي الوسيلة التي تفسد مقاصدهم البالغة منتهى السخافة.

[تعود شرميان]

والآن يا شرميان ألبسيني بوصفي ملكة، ويا نسائي أحضرن أفخر ملابسي. إني أشعر كأني ذاهبة مرة ثانية إلى سيدنس لمقابلة مارك أنطوني. اذهبي يا إراس وأنت يا شرميان أسرعي، وعند ما تنجزين ما أمرتك به سأمنحك عطلة تتمتعين بها حتى يوم القيامة أحضري تاجي. ما معنى هذه الحلبة؟

[تخرج إراس وتسمع ضوضاء من الداخل]

[يدخل الحارس]

الحارث: هنا رجل فلاح يصمم على أن يقابل جلالتك ومعه بعض – التين.

كليوباترا: اسمح له بالدخول [يخرج الحارس] كم من أداة حقيرة تؤدي عملاً شريفاً! إنه يجلب إليّ الحرية لقد عزمت عزماً وثيقاً ولا أشعر في نفسي شيئاً من ضعف المرأة وإني ثابتة الجأش من رأسي حتى أخمص قدمي، ثابتة كالجبال ولن أعترف بأن القمر المتغير هو الكوكب الذي

يشرف على مصيري.

[يرجع الحارس والفلاح ومعه السلة]

الحارس: هذا هو الرجل.

كليوباترا: انسحب واتركه [يخرج الحارس] هل أحضرت في هذه السلة أفعى النيل؟ التي تقتل بدون ألم؟

الفلاح: حقاً هي معي، ولكن أنصحك ألا تلمسيها لأن عضتها فيها القضاء المبرم، وقل أن يبرأ أحد ممن تلدغهم، وقد لا يبرأ أبداً.

كليوباترا: هل تذكر أحداً مات منهم؟

الفلاح: الكثير من الرجال، والكثير من النساء أيضاً وقد سمعت عنهم بالأمس فقط: فهناك امرأة شريفة متعودة بعض التعود على الكذب كما يجب ألا تفعل بعض النساء إلا للذود عن شرفهن وهي تحسن مدح هذه الحشرة في لدغها والألم الذي شعرت به ولكن من يصدق نصف ما تقوله النساء لا ينجو من جميع أعمالهن على أنه لا شك أن هذه الحشرة عجيبة.

كليوباترا: ارحل من هنا، وداعاً.

الفلاح: أرجو أن تجدي من الأفعى كل ما تريدين.

[يضع السلة على الأرض]

كليوباترا: وداعاً.

الفلاح: يجب أن تفهمي أن الأفعى ستعمل بحسب طبيعتها.

كليوباترا: نعم. نعم. وداعاً.

الفلاح: احترسي فإن الأفعى لا يؤمن جانبها إلا إذا كان أمرها موكولاً إلى أناس عقلاء، إذ ليس فيها شيء من الخير.

كليوباترا: كن مطمئناً فإننا سنراقبها.

الفلاح: وهو كذلك. لا تطعميها شيئاً فإنها لا تستحق الغذاء.

كليوباترا: هل تأكلني؟

الفلاح: لا تظنين أبله؛ لأن الشيطان نفسه لا يمكن أن يأكل امرأة. وإني أعرف أن المرأة طعام الآلهة إذا لم يعبث بها الشيطان، ولكن هذه الشياطين تسيء إلى الآلهة في شخص سيداتهم؛ فإن في كل عشر تخلقهن الآلهة خمساً يفسدهن الشيطان.

كليوباترا: حسناً أعزب. وداعاً.

الفلاح: نعم وأرجو أن تسري من الحشرة.

[يخرج الفلاح]

[تعود إراس ومعها رداء والتاج... إلخ]

كليوباترا: هاتي ردائي وألبسيني التاج. إن في طبيعتي الرغبة في أن أعيش مخلدة. لن تلمس شفتاي بعد عصير العنب المصري. أسرعي. أسرعي يا إراس الطيبة، يخيل إليّ أن أسمع نداء أنطوني، وأني أراه يمتدح

فعلى النبيل، وأسمعه يسخر من حظ قيصر الذي تمنحه إياه الآلهة ليكون لها مندوحة فيما بعد لأن تسيء إليه وتقلب له ظهر المجن. هأنذه قادمة يا زوجي كي تبرهن شجاعتي على أني أستحق أن أسمي زوجتك؛ وليس في شيء من العنصرين الأكثر انحطاطاً (الأرض والماء) بل كلى الآن نار وهواء. وسأترك العنصرين المنحطين ليأكلهما الدود.

هل انتهيت من إلباسي؟ هيا فاحضر يا أنطوني وتمتع بآخر قبلة من شفتي، وداعاً يا شرميان، وداعاً طويلاً يا إراس.

[تقبلهما فتقع إراس ميتة]

هل في شفتي سم الأفعى حتى تموتي من قبلتي، إذا كنت قد فارقت الحياة بهذه السهولة – فإن ضربة الموت ستكون كدغدغة الحبيب التي تؤلم ولكنها مرغوب فيها. أما زلت راقدة؟ إذا كانت روحك قد خرجت بهذه السهولة فمن الواضح أنه يجب على المرء ألا يعبأ بترك الحياة الدنيا.

شرميان: لتذهب أيها السحاب المتراكم ولينزل المطر حتى يمكن أن أقول أن الآلهة نفسها تواسينا بدموعها.

كليوباترا: إن موتها ليحط من شأني لأنها ستحظى بمقابلة أنطوني ذي الشعر المنظم قبلي، وسيسألها عن أخباري، وسيكافئها بقبلة هي لي بمثابة النعيم. تعالي أيتها الحشرة الدنيئة القتالة [مخاطبة الأفعى التي تضعها على صدرها] وبأسنانك الحادة حلي عقدة هذه الحياة الصعبة، أيتها الحشرة الخبيثة السامة اغضبي وأسرعي، يا ليتك تستطيعين الكلام

حتى أسمعك تهزئين من قيصر كما أفعل الآن، وإني لمتيقنة أنك ستسخرين منه لأنه خدع وغلب على أمره.



شرميان: إيه يا نجمة الشرق!

كليوباترا: صه، صه، ألا ترين طفلي يرضع ثديي لينام بدلاً من أن تدلله المربية.

شرميان: كفى، كفى!

كليوباترا: إنه حلو (كالبلسم) ورقيق لطيف الهواء يا أنطوني!

[تمهد لأفعى أخرى على ذراعها] سآخذ أخرى غيرك. لماذا أحيا...؟

[تموت]

شرميان: في هذه الدنيا التعسة! وداعاً، افخر أيها الموت، إذ فزت بفتاة عديمة النظير، غمضا أيتها العينان الفتانتان اللتان لم تر الشمس الوضاءة نظيرهما في الجمال!! لقد انحدر تاجك عن موضعه، فسأصلحه وأخرج لشأني.

[يدخل الحراس مسرعين]

الحارس الأول: أين الملكة؟

شرميان: تكلم بهدوء لئلا توقظها.

الحارس الأول: لقد أرسل قيصر...

شرميان: رسولاً بطيئاً جداً [تضع أفعى على جسمها] [إلى الأفعى وهي تضعه على صدرها] هيا هيا أسرعي إني أشعر بعض الشعور بك.

الحارس الأول: أقبل يا... ليس كل شيء على ما يرام، لقد خدع قيصر

الحارس الثاني: هاك دلابلا فلقد أرسله قيصر، أدعه.

الحارس الأول: ما الذي حصل هنا؟ هل هذا عمل طيب يا شرميان؟

شرميان: إنه عمل مجيد يليق بأميرة سليلة ملوك عظماء آه يا جندي!

(تموت).

[يعود دلابلا]

دلابلا: كيف الحال هنا؟

الحارس الثاني: لقد مات الجميع.

دلابلا: كل ما قدرت يا قيصر قد حصل كما يتضح من رؤية هذه الأجسام الميتة، وستحضر لترى بنفسك هذا العمل المخيف الذي حاولت أن تمنعه [أصوات من الداخل: أفسحوا لقيصر]

[يعود قيصر وحاشيته سائرين]

دلابلا: لا شك يا سيدي أنك نبي، لأن ما كنت تخشاه قد حصل

قيصر: لقد أظهرت نفسها في نهاية حياتها أشجع مما كانت؛ فلقد توقعت أغراضي نحوها، ولما كانت متعودة صدق الحدس نفذت إرادتها، هل لي أن أعرف وسيلة موتهن لأني لا أرى آثار الدم عليهن؟

دلابلا: من كان أخيراً معهن؟

الحارس الأول: رجل فلاح أحضر لهن تيناً في سلة وهذه هي السلة.

قيصر: إذن لقد متن مسمومات.

الحارس الأول: يا قيصر؛ شارميان هذه كانت حية منذ لحظة،

وكانت واقفة تتكلم، ولقد رأيتها ترتب التاج على هامة سيدتها الميتة، لكنها كانت ترتعد عند وقوفها ثم سقطت فجأة.

قيصر: يا لها من امرأة شريفة!! لو كن تناولن السم لظهر ورم على أجسامهن. لكن الملكة تظهر وكأنها تنام نوماً هادئاً، كأنها تريد أن يقع في شرك جمالها الفتان أنطونيو آخر.

دلابلا: هنا على ثديها نزيف من الدم والورم، وكذلك الحال في ذراعيها.

الحارس الأول: هذه هي آثار زحف الأفعى وأوراق التين هذه عليها شيء من غرين النيل.

قيصر: يحتمل أن تكون قد ماتت هكذا، لأن طبيبها أخبرني أنها اختبرت وسائل عدة للموت بسهولة. أحملوها إلى سريرها واحملوا نساءها من الهيكل، وستدفن بجوار أنطونيو الذي أحبته حباً جماً، على أنه ليس هناك قبر يسع شخصين عظيمين كهذين.

إن حوادث عظيمة كهذه لها عظيم الأثر في نفس من أحداثها وسردها مجلبة للشفقة على من كانوا ضحيتها، كما أنها مجلبة لفخر من كان السبب فيها. سيشترك جيشنا في تشييع الجنازة ثم يسافر إلى روما.

هيا يا دلابلا واعمل أن تكون الجنازة فخمة لائقة.

[يخرجون]

المعرب: وما أخلق أن نختم الرواية بما قاله شوقي على لسان من رثا

كليوباترا:

بنتــي رجوتــك للضــحية والفــدا		فوجدت عنـدك فوق ما أنا راجي
إن تصبحي جسـداً فنفسـك حـرة		وعــلاك ســالمة وعرضــك نــاجي
سـيقول بعـدك كـل جيـل منصـف		ذهبــت ولكــن فــي ســبيل التــاج

الفهرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس